دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلسَّادِسُ وَالعُشرُون)

سُورَةُ الأَنْعَامِ

مِنَ الآيَةِ ﴿١٠٣﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ ٱلدِّين ٱلحُوثِي

بِتَارِيخ: ٢٦ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ٢٠/١١/٢٠٠٣ م

ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

من بداية هذه السورة المباركة (سورة الأنعام) تعليمات كثيرة جداً ومزدحمة، ونسبة كبيرة منها موجهة إلى الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بعبارة ﴿قُلْ﴾ أو نحوها، ويبدو من خلال هذه أن الله سبحانه وتعالى جعل آياته بينات إلى درجة أن الإنسان لا يحتاج إلى أن يقول: هو بحاجة إلى أن يرى الله، كما قال بنو إسرائيل: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾(البقرة:٥٥) فالناس لا يحتاجون إلى هذه، فيما يتعلق ببيناته هي بينات واضحة جداً؛ ولهذا قال بعد: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾(الأنعام:١٠٣) قال: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾(الأنعام:١٠٤).

فيما يتعلق بالنعم منه سبحانه وتعالى هو منعم على الناس بنعم كثيرة جداً جداً، وليسوا مع ذلك بحاجة إلى أن يروه، وليس هناك حاجة بالنسبة للإنسان حتى يستبصر أو حتى يحصل على نعم من جهة الله سبحانه وتعالى أن يرى الله، يُقفَل هذا الموضوع بالنسبة للمسلمين، ألاّ يكونوا كبني إسرائيل عندما خرجوا من (مصر) وهم يريدون إلهاً يرونه بأعينهم ويطوفون عنده، إلهاً يرونه! القضية لا تحتاج إلى هذا على الإطلاق لا بالنسبة لآيات الله، ولا بالنسبة لنعمه على الإنسان.

فآية: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(الأنعام:١٠٣) هي جاءت في هذا السياق، سياق توحيد الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بذاته، ثم التبيين للإنسان أنه ليس بحاجة إلى هذه الرؤية، هذه تُعتبَر من العقيدة السائدة عند كثير من المسلمين (الرؤية) وأن الله سيُرى، وأشياء من هذه! فعلاً ليس هناك في القرآن الكريم ما يدل عليها على الإطلاق، بل هناك ما يدل على أنها لا تقع، عندما يُبيِّن في هذه السورة، هذه الآية في إطار الحديث عن البصائر للناس، وعن النعم للناس، الإنسان يجد هكذا: يجد أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يفلق البذرة، وهو الذي يفلق الإصباح (الصباح) وهو الذي يسيِّر الشمس والقمر، ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وهكذا، بدون حاجة إلى أن يتساءل أين الله، ويرى الله.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾(الأنعام:١٠٥) يُصرِّف الله الآيات، تتكرر هذه العبارة: ﴿نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ في آيات كثيرة، بمعنى: أن الله سبحانه وتعالى في هدايته للناس؛ لأنه رحيم، ولأنه يعلم بخلقه هؤلاء، فلا يكتفي في موضوع مُعيَّن بآية واحدة، أو إشارة واحدة، أو إيحاء واحد، بل يُصرِّف، أي: يُكرِّر الأشياء، ويُقلّبها على كل لون: من توجيهات، إلى أمثلة، إلى ترغيب، إلى ترهيب، وهكذا.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(الأنعام: ١٠٤، ١٠٥) جاء في آية بعد عدة آيات من هذه: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾(الأنعام:١٥٦) إذاً أنت منهم، ووجدوك درستَ، أي: أنت تتلو عليهم قرآناً، أنت تتلو عليهم كتاباً من جهة الله.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام:١٠٦) أعرِضْ عن أيِّ تقولات من جانبهم، أعرض عن أيِّ دعايات من جانبهم، أعرض عن أيِّ مقترحات أو أطروحات من جانبهم، معنى أن تعرِض عنها: لا تعطيها قيمة، وسيكون موقفك منها موقفاً من ضمن المواقف المتعددة – كما سيأتي من خلال الآيات، وكما لاحظنا في الماضي – منها ما يجيب عنها، ومنها ما يجيب عنه بشكل آخر، ومنها ما يُعرِض عنها تماماً.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ﴾ هذه من التوكيدات المتكررة في القرآن الكريم، والموجهة إلى النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن عليه أن يستقيم في كل حركاته، في كل توجيهاته، في كل مواقفه مع الآخرين على أساس ما يُوحَى إليه من الله، هذا يعني: أن ما يُوحَى إليه من جهة الله سبحانه وتعالى فيه الكفاية وفوق الكفاية، هو ليس بحاجة إلى أشياء أخرى.

﴿وَلَو شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيهِم بِوَكِيلٍ﴾(الأنعام:١٠٧) ولو شاء الله ما أشركوا، تتكرر هذه العبارة أيضاً في مقامات كثيرة، هذه العبارة مما يستفاد منها عندما يقول: ﴿وَلَو شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾، ﴿وَلَو شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾(الأنعام:١١٢) ولو شاء كذا، أن يَتبيَّن للإنسان أن الله سبحانه وتعالى ليس عاجزاً، أي: هؤلاء الناس عندما ينزل لهم بينات بينات كثيرة ثم لا يهتدون، عندما تراهم يعبدون أصناماً أخرى، ليس معناه: أن هؤلاء أعجزوا الله، أي: نفدت قدرته ولم يستطع على الإطلاق أن يعمل معهم شيئاً! هو يستطيع، هو قادر على

أن يكفهم عن هذا بطريقة أو بأخرى من الطرق الأخرى النافذة، مثلاً يستطيع أن يفجر أصنامهم فيهم، يستطيع أن يحول بينهم وبين الوصول إلى الأماكن التي فيها أصنام، أليس قادراً على هذا؟

أي: خلاصة ما تعنيه هي: أن الله ليس بعاجز أمامهم عندما تراهم لا يقبلون هذا الهدى فيبدو وكأن الباري لم يعد يدري كيف يعمل معهم، هو على كل شيء قدير، اقتضت حكمته أن يكون هكذا بالنسبة لعباده: أن يوجههم، أن يرشدهم، أن يعلِّمهم بهذه الطريقة؛ لأن الطريقة الأخرى قد لا تكون ذات قيمة بالنسبة للإنسان، قد لا تكون ذات قيمة بالنسبة لدورك في هذه الحياة. الطريقة الأخرى مثلاً أنهم يريدون أن يتجهوا إلى الأصنام ولكن يحصل مثلاً نوم، ينام كل من فكر أن يتجه إلى صنم، يمكن أن ينتج من خلال هذه تقوُّلات أخرى مثلاً، بأن الله يتعامل مع الإنسان تعامل تجبُّر، تعامل تسلّط، ليس معناه: أن تلك القضية باطلة من حيث هي، أو أن هذه القضية حق من حيث هي، وإنما هكذا عمله كعمل الملوك الآخرين، الشيء الذي لا يعجبه لمجرد أنه لا يعجبه بغض النظر عن كونه حقاً في ذاته أو باطلاً في ذاته، أنه هكذا يوقفك اعتباطاً.

أي: أنها قضية بالنسبة للإنسان، لو تتم على هذا النحو الذي يسمونه (القسري) لَمَا كان ذا قيمة بالنسبة للإنسان نفسه، ولَمَا كان ذا قيمة فيما يعطيه من تجليات، فيما يتعلق بماذا؟ بقيمة هدى الله سبحانه وتعالى، فتأتي بطريقة أخرى، فيأتي يُقدِّم ويقول: إن هذا هو حق، وهذا هو باطل، إذا سرتم على هذا الحق فستكون النتيجة بالنسبة لكم كذا كذا، كلها إيجابيات، وعندما تسيرون على هذا الباطل فستكون النتيجة كذا كذا في الدنيا وفي الآخرة، كلها عذاب وخزي...إلخ. هنا سيتجلى، أليس سيتجلى في واقع الحياة وبالنسبة للآخرة بأن عملهم هذا هو عمل يُعتبَر باطلاً في نفسه، أنه يؤدي إلى هذه العقوبات السيئة، إلى هذه الحالة السيئة، إلى هذا الضلال؟

هذا يكفي، وهذا ذو قيمة بالنسبة للإنسان، فيما يتعلق بنفسيته؛ لأن موضوع القسر ممكن أن تُقسَر دون أن تعرف لماذا، لا يترك أثراً في نفسك إلاّ أن تلك الجهة جهة متجبرة فقط، لكن أن تقنع بالمسألة، أن يقال لك: هذا هو باطل، هذا يؤدي إلى كذا كذا، هذا ليس له أساس من الصحة أن تكون عليه، وسترى عواقبه كذا؛ ولهذا لاحِظ في هذه السورة وهو يُبيِّن بالنسبة لهذه الآلهة أنها لا تنفع ولا تضر ولا تعمل لهم شيئاً، وهي عاجزة، وهي، وهي...إلخ، ليست ذات قيمة. هنا عندما تتركها تترك عبادتها، فسيكون تركك لعبادتها ذا قيمة بالنسبة لنفسك: تسمو نفسك، تزكو نفسك، أي: تُعتبَر مستبصراً، أفضل من الطرق الاعتباطية (القسرية).

﴿وَلَو شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ هذه لا تعني كما يقول الآخرون إن معناه: (إذاً فقد شاء، إذاً فمن هو مشرك فالله شاء أن يشرك)! هذا معناه يُعتبَر تحريفاً للآية؛ لأن معناها: أن الله غني عن العالمين، وأنه لا يعجزه أن يردهم بطريقة أو بأخرى، لكن فيما يقدِّمه من آيات، فيما يقدِّمه من بينات، فيما يكشفه من بطلان ما هم عليه هو الطريقة الجيدة بالنسبة للإنسان، هو الطريقة الصحيحة التي ينكشف له من خلالها حق وباطل.

﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام:١٠٨) هنا عندما تأتي الآية بهذا اللفظ: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ مع أننا وجدنا بالنسبة للقرآن الكريم فيه آيات كثيرة تتكلم عن هذه الأصنام، بعبارات، من خلال ضرب أمثلة مثلاً بأنها أوهَى من بيت العنكبوت، وبأنها لا تنفع ولا تضر، وبأنها لا تسمع ولا تبصر وأنها، وأنها... بكلام كله سخرية بها، أليس سخرية؟ في إطار كونه تبييناً. لكن لأنه قد يكون هناك ربما من الناس من تكون عباراتهم بالشكل المثير لآخرين، يتجنبون هم التعبير، يتركون القضية لله سبحانه وتعالى ولرسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في تبيين حالة هذه الأصنام؛ لأن الطرف الآخر هو يعتبره إلهاً، تأتي أنت بكلمة جارحة، غير لائقة، مثيرة، قد تجعله ينشدّ إلى هذا؛ لأنه لديه – بالنسبة لنفسه وهو تربَّى على هذا – لديه إلهاً، ليس معناه ألاّ تتعرَّضوا للأصنام نهائياً إلاّ لأنه قد يحصل هذا، وهذا شيء معلوم في حياة الناس.

لذلك نقول في كثير من القضايا بأنه ليس مناسباً أن يتناول أيُّ إنسان هذه القضية الفلانية؛ لأن كل شيء يحتاج إلى حكمة، وكل شيء له أسلوب، قد تكون طريقة شخص مُعيَّن بالشكل الذي يجعل هذا الإنسان يتخلى عمَّا هو عليه من ضلال، وقد تكون طريقة شخص آخر بشكل يجعله ينشدُّ إلى ما هو عليه من ضلال، والله هو رحيم بعباده، ويريد لعباده جميعاً أن يهتدوا، فمن واجب المؤمنين أن تكون لديهم هذه الروحية: أن يكونوا حريصين على أن يهتدي الآخرون، فلا تأتي من جانبهم عبارات مثيرة، وبالإمكان أن تأتي عبارات أخرى وتؤدي نفس الغرض المطلوب، وبأفضل وأكمل، وتؤدي إلى نتيجة طيبة بأن يهتدي هذا الإنسان أو ذاك، هذا بشكل عام.

هناك نوعية محدودة من الناس الذين قد يكون مناسباً أن يأتي لهم عبارات قاسية؛ لأنه فعلاً عندما يأتي شخص يسب صنماً لكن بطريقة مثيرة – مع أن العرب يعتبرون الله سبحانه وتعالى إلهاً أكثر قداسة من هذه الأصنام التي لديهم، لكن من أجل ماذا؟ من أجل نفسه – يُستثار فيسب الله؛ لأجل هذا الشخص بأسلوبه المثير غير الحكيم، قد يؤدي إلى أن يَسُب الله، فتكون أنت كأنك حملته على هذا بطريقتك غير الحكيمة.

هذا فيما يتعلق بالمؤمنين بـ(الأمة المؤمنة) يُعتبَر من التزيين لأعمالهم بحيث تكون ذات قابلية عند الآخرين، ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾(الأنعام:١٠٨) في توجيهات الله لكل أمة تنطلق على أساس كتابه، وتتبع رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) تُزيَّن لها الطريقة بحيث كما قال في آية أخرى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(النحل:١٢٥) والحكمة عندما يُقدَّم الشيء في قالب من الحكمة يُقدَّم جميلاً، أليس يُقدَّم جميلاً؟ في نفس الوقت يكون أمام الشخص الآخر، أمام الجهة الأخرى جميلاً، مزيناً، جذاباً؛ فيتجه إلى الهدى.

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام:١٠٨) لا نستطيع أن نفهم، إذا قلنا: إن هذه الآية: ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ بالنسبة للمشركين يوجد تزيين لعملهم بالنسبة لهم، كيف يمكن أن يجعل الصنم ذا جاذبية لديه ومزيناً لديه، يجاهد من أجله! هو سيأتي فيما بعد، وفي آيات أخرى: أن الشيطان يزين بالنسبة للآخرين، والأصنام أيضاً، من خلال أساطير مُعيَّنة، من خلال كذا، يُزيِّن له بأن يقتل ابنه لأيِّ اعتبار كان، كما سيأتي في آية أخرى.

من واجب الناس أن يتفهموا الأطراف الأخرى، مثلاً الناس في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هم كانوا مجتمعاً أغلبيته مشركون، يعبدون الأصنام، وهذه الأصنام محاطة بأساطير، لا تعتقد بأن هناك شيئاً لا يكون محاطاً بهالة من الأساطير تجعله وكأنه حق، وكأنه صحيح، إضافة إلى أنه يصبح حالة سائدة في المجتمع، ومسلَّمة في المجتمع، تبدو وكأنها شيء طبيعي، وكأنها قضية تَسالَم عليها الناس، وكأنها لم يعد فيها أيُّ إشكال بأنها صواب! هنا النقلة إلى أن يكفروا بها، إلى أن يتخلوا عنها، هذه تُعتبَر نقلة كبيرة تحتاج إلى تصرفات حكيمة.

كذلك الناس مثلاً، عندما نقول: نحن في عصر كهذا، يوجد ثقافة سائدة نعتبرها مليئة بالأخطاء، مليئة بالأغلاط، يجب أن تكون عباراتنا حكيمة، بالنسبة لمن هم على هذا. هنا تجد في القرآن الكريم كيف يفرِّق بين موضوع مهاجمة الشرك كشرك، أليس هذا شيئاً؟ بالنسبة للناس كأناس يتخذ أسلوباً حكيماً معهم.

عندما نتحدث عن ثقافة مُعيَّنة، نحن عادة لا نتحدث عن أشخاص بأعيانهم، خاصة من الموجودين، بل نتحدث عن محط الإشكالية وهو (ثقافة مغلوطة) كيف نحاول أن نخرج منها نحن، وكيف نعمل على توجيه الناس لأن يبتعدوا عنها، إذاً لا يكون أسلوبك مع الأشخاص أنفسهم هو نفس الأسلوب في مهاجمة القضية من حيث هي؛ لأنه فعلاً تجد الناس منشدّين إلى ما هم عليه، أليس هذا شيئاً معلوماً؟ منشدّين إلى ما هم عليه، سواءً كانوا داخل الشيعة أو داخل السُّنة، منشدّين إلى ما هم عليه، ويعتبرون أنه مضى عليه أعلام منهم، ومضى عليه عظماء منهم، والناس جميعاً على هذا، وقضية تبدو وكأنها ليست محط إشكال، فيحتاج الإنسان إلى أسلوب حكيم إذا دخل في حوار مع آخرين أو – مثلاً – تدخل مسجداً وفيه حلقة معهم درس في (أصول الفقه) فلا تقل: "روحوا لكم أنتم وضلالكم هذا". مثلاً، أو "اجلسوا تخيضعوا أنتم وضلالكم ذا ولباجكم ذا"[1] هنا أنت تستثيره، لكن بطريقة وبأخرى تتحدث عن القرآن، وتذكّر بما تُعتبَر أساسيات وهي مقبولة عند الجميع، وهذا أسلوب ذُكِر في القرآن نفسه، تقول: كيف بالنسبة لهذه الكتب كلها أليس القرآن الكريم يُعتبَر حاكماً عليها جميعاً، وله الأولوية عليها جميعاً؟ لا أحد سيقول لك: لا، قل: إذاً القرآن عندما نجد أيَّ شيء فيه تكون هذه الأشياء مخالفة له، أيَّ شيء سواءً كان في كتب داخل التفسير، أو حديث، أو أصول فقه، أو علم كلام، أو كتب ترغيب وترهيب، أو أشياء من هذه، ألا يُعتبَر خطأ ويجب أن نرفضه عندما يكون مخالفاً للقرآن؟ سيقول أيُّ واحد: نعم. وبهذه الطريقة الحكيمة، فيما إذا دخل أحد مع أناس في حوار.

ثم أيضاً تكون الأشياء مختلفة، لاحِظوا، هناك فارق كبير، أحياناً قد لا يكون الكلام من هذا مثيراً كما لو كان الكلام من هذا، هل تلاحظون فارقاً في هذا؟ ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيرِ عِلْمٍ﴾(الأنعام:١٠٨) لكن ربما عندما يأتي شيء من جهة الله هو يقول عن الأصنام كذا، أو شيء من جهة رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يقول عن الأصنام كذا، أو يقول عن الأشخاص أنفسهم مثلما سبق في آية فيها مقابلة

(١) (تَخَيضَعُوا): للتَّهَكُّم مُشتق مِن الخَضَاعَة، والخَضَاعَة تعني: التَّصَرُّف مِثْلَ تَصَرُّفاتِ المَعْتُوهِ. (لِبَّاجُكُم): تَخَبُّطُكم العشوائي.

سخرية بسخرية، عندما ذكر الذين يخوضون في آياتنا، وأشياء من هذه، بعدها قال: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾(الأنعام:٧١) أليست هذه العبارة تعني: أنتم في واقعكم هكذا؟ ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيرَانَ﴾ هذه القضية ملموسة، الإنسان يجب أن يعرف أنه ربما قضية حتى لو كانت خطيرة في التعبير عنها قد تكون من شخص بشكل لا تكون مثيرة كما لو كانت من شخص آخر.

فيجب أن نفهم نحن في عملنا هذا نفسه، الإنسان إذا كان مخلصاً لله، وهمه فعلاً هو أن يهتدي الناس، همه هو أن يعمم هذا التوجه، أنه وإن كان فاهماً أحياناً شيئاً مُعيَّناً فلْيحاولْ أن يُوكِل القضية على آخرين، نحن نؤكد على هذا من البداية، نحن نعرف أننا تناولنا قضايا هي عند الآخرين قضايا ينشدّون إليها، بل يعتبرونها ديناً.

إذاً فبدلاً من أن يدخل أيُّ أحد من الناس في مهاترة مع الآخرين، وقد يحاولون هم أن يستثيروه؛ ليدخلوا في مهاترة معه، ثم قد لا يُقدِّم القضية بالشكل المطلوب، أو لأيِّ اعتبار كان، فالأفضل عملياً أن يقول: بالنسبة لهذه القضية اذهبوا إلى فلان هو الذي تناول هذا الموضوع، اقرؤوا كتاباته، اسمعوا كلامه، اتفقوا أنتم وإياه.

هذه الطريقة من الناحية العملية ذات قيمة كبيرة، أولاً تُجنِّب الناس الأخطاء؛ لأن النقل عادة يأتي فيه أخطاء؛ ولأنه لم تمر فترة طويلة بحيث إن القضية تكون قد اتضحت لكثير من الناس في كيف يُعبِّر عن هذه القضايا مع الآخرين، وكيف يتناولها، وقد تتجمع أخطاء من هذا، وهذا، وهذا، ولا تدري إلاّ والساحة مليئة بالأخطاء، هذه الأخطاء ستراها وإذا هي كل منطق الآخرين الذين ماذا؟ يعارضون هذا العمل: (هم يقولون كذا وكذا) يقدِّمون مجموعة الأخطاء التي أتت من عند هذا، وهذا، وهذا، ويقدِّمونها صورة لهذا الموضوع بكله. ثم في نفس الوقت يُعتبَر من ناحية أخرى فيما يتعلق بالعدو نفسه، إذا لمس من الناس أنهم أمة منضبطة، أمة متقيدة، أمة لا تسير بطريقة عشوائية، لا يوجد عندها أسلوب الثرثرة: كل واحد مِن عنده، كل واحد يتناول القضية مِن عنده، ويغلط، والثاني يغلط، يجد أمة متقيدة: قضايا مُعيَّنة يتركونها لجهة مُعيَّنة، فهذا يوحي بأن هذه الأمة مبنية بشكل صحيح، أمة كلمتها واحدة.

من الناحية العملية أنت ستؤَثر في الآخر، أنت ربما تجره إلى موضوع قد يكون عندما يراجعه ربما يتأثر. هذا قلناه في البداية، عندما مررنا – في (سورة البقرة) – بقول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾(البقرة:٢٣) قلنا: إنه يدفعهم إلى أن يرجعوا إلى القرآن، إذا اطَّلعوا على القرآن فلن يخرج الإنسان من داخله مرتاباً نهائياً، يريد أن يبحث كيف يعمل في القرآن حتى يأتي بسورة، لن يخرج من القرآن إلاّ وقد صار مستقيماً.

بعض المقامات بالنسبة لكثير من الأشخاص وإن كان لديك خِبرة في الرد عليه أو التبيين له، ربما الأفضل أن ترده إلى الموضوع؛ لأنه عندما يقرأ هذه الأشياء فربما في الأخير سيرى مواضيع أخرى هامة: سيرى حديثاً عن الأمريكيين، حديثاً عن الإسرائيليين، حديثاً قد يكون أوسع من القضية التي أنتما تخوضان فيها مثل موضوع (أصول فقه) سيقرأ أشياء أخرى، وسيرى هذه القضية داخلها مرتبطة بأشياء أخرى، وفي الأخير: إمَّا أن يتحول ويستجيب، أو على الأقل يترك المعارضة ويسكت، يرى بأنه غير مناسب أن يدخل في هذا الموضوع، ويعارض ويشاقق، هذه الطريقة أفضل حتى وإن كان لديك خِبرة أن تُبيِّن بالنسبة لأشخاص.

نلمس من خلال آيات في القرآن الكريم: أن التوجيه الإلهي في القرآن يعطي الإنسان أسساً منها ألاّ يكون همُّه أن يُبرِز شخصيته، أو يُبرِز أنه قدير في مَنطِقه، أو أنه استطاع أن يُفحِم فلاناً، أو استطاع أن يفضح فلاناً في جلسة، لا، بل لديه روح عملية: كيف يهدي الناس، ويكون في نفس الوقت مُحِباً بالنسبة للآخرين أن يهتدوا، فعندما يرى أنه فعلاً أو قيل له: ألاّ يتناول هذه القضية، فلن يتناولها؛ لأنه يعلم بأن عدم تناولها هو أفضل للموضوع، أفضل للقضية التي هي ماذا؟ التي هي دين الله، أفضل للقضية التي هي ماذا؟ محاولة إبعاد الناس عن الضلال، ومحاولة إزاحة هذا الضلال من الساحة في داخل ثقافة هذه الأمة، أي: أنه سينضبط.

هذه القضية هامة: أن الإنسان يكون لديه رغبة فعلاً بأن القضية التي يتحرك فيها، أنها هي التي تنجح، هي التي تَبرُز، وليس شخصه هو الذي يَبرُز، هذا مثلما نقول: إنه حتى لو كان لديك قدرة أحياناً أن تُبيِّن، وقد يكون شخص مُعيَّن الأفضل أن تُوكِل إليه الموضوع، تتركه يراجع أشياء أخرى، اتركه يطّلع عليها، وأنت في المرة الثانية تسأله.

يجب أن يُفرِّق الناس بالنسبة لنا عندما نتحدث عن هذه القضية، نحن نتحدث عنها فعلاً على أساس أن نبيِّن ونتلمس نحن جميعاً – من خلال قراءتنا للقرآن الكريم – الفارق بين ما يقدِّمه القرآن وما قدَّمته لنا هذه الأخطاء في ثقافتنا، هذه تؤدي بالإنسان فعلاً إلى أن يعتبرها قضية رهيبة جداً، ضلالاً رهيباً جداً ضَرَب الأمة ضربة شديدة جداً، هذا شيء، لكن، لا أن تكون متحاملاً على أشخاص بأعيانهم هكذا (أنتم كذا، أو هم كذا) هذه ليست جيدة، إذا سمعنا فلاناً هو نفسه يتحدث – قد يضطر إلى أن يتحدث أحياناً – فلا يحاول أحد أن يقلده في هذه القضية بالذات، في قضية أشخاص من الماضين أو من الموجودين، لا نحاول أن نقلد فلاناً لأنه يتكلم، أو سمعناه يتكلم فلنتكلم كمثله في تناول أشخاص، هذه قضية غير صحيحة، ولو لم يكن إلاّ في مرحلة مُعيَّنة، إذا كنتَ تريد أن تُطلِع الآخرين على ما قيل، فحاولْ أن توزع ما نزل للتوزيع، وتتركهم يتفقون هم والذي جاء هذا الكلام من عنده.

بل من الناحية الأمنية أحياناً – افهموا هذه – من الناحية الأمنية أيضاً، أحياناً قد يكون كلمة من عندك في مسجد تجعل الآخرين: قسم شرطة، أو إدارة أمن، أو أيَّ شخص آخر يأتي يعتقلك ويذهب بك إلى السجن، لكن الشخص الآخر ربما لا يحصل هذا معه، هل تفهمون هذه؟ إذاً فبطريقة أخرى مَشِّ الموضوع، توزيع، وزع، ولستَ ستوزع شيئاً لا أحد يدري ممن هو، بل الاسم مكتوب عليه، إذا كان هناك أحد يريد أن يغضب أو يعمل شيئاً فقل: هو ذاك فلان اتفقوا أنتم وإياه.

هذه قضية ملموسة بالنسبة للقرآن الكريم، داخله، افهموا هذه القضية أساسية، ربما لو حاولنا أن نتطرق إليها نجد فعلاً أنه قد يكون بالنسبة لأشخاص، قد لا يحصل شيء في الغالب، وإذا جاء الآخرون كل واحد يريد أن يعمل مثل ذلك ربما يحصل لك أنت، وقد يكون فيها فائدة من جهة أن يبقى الناس مرتبطين بجهة واحدة، ويسيرون على توجيهات واحدة. وأن كل ما يُقدِّمه القرآن الكريم من أشياء تجعلك – مثلاً قد يكون لديك غضب شديد، ولديك عداوة شديدة مثلاً، لكن هناك شيء أساسي هو أن تكون – حريصاً على أن يهتدي الناس كل الناس، هذه قاعدة: أن تكون حريصاً على أن يهتدي حتى اليهود، أليس هذا أسلوباً نراه داخل القرآن؟

إذاً فهذه القضية لا يجب أن تتحول الأشياء إلى شخصية، رأينا في القرآن: كم عَمِلَ – فعلاً – من أشياء داخل القرآن الكريم تبعد الموضوع عن أن يتحول إلى موقف شخصي، موقف شخصي...إلخ؛ لأن من سلبياته أنه قد يجعلك في حالة تصد عن سبيل الله فعلاً بمنطقك؛ لأنك قد أصبحت تَعتبِر القضية قد صارت قضية: هناك أناس مُعيَّنون لم يعودوا يصلحون نهائياً، تحاول بعبارات قاسية، وأشياء من هذه، إلى درجة أنه قد يأتي الرد هكذا، يحدث سب لله مثلاً كما قال في هذه الآية.

اتبع الحكمة على أساس أنك تريد أن تنجح هذه القضية، وتعمل الطريقة التي يمكن أن يهتدي الآخرون، أو ينصرفوا بطريقة هكذا؛ ولهذا يقول إنهم هكذا يصدفون عن آيات الله بعد أن تأتي بطريقة حكيمة ومقبولة، لا تكن أنت الذي صدفه أو صرفه بأسلوبك، إذا انصرف هو بأسلوبه بعد آيات تُقدَّم إليه بشكل حكيم وبتبيين حكيم، فهذا الشيء الذي فعلاً قد يضربه هو، ولا يضرك أنت، لكن عندما يكون عملك أنت، أسلوبك أنت بالشكل الذي يصرف هذا، بعباراتك غير اللائقة، بأسلوبك الذي يبدو وكأنه قد أصبح قضية شخصية لديك، فهنا قد تكون القضية مؤثرة عليك أنت، ويكون تأثيرها السلبي عليك أنت.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام:١٠٩) هم يحاولون: لولا تأتينا آية، يريدون آية من الآيات التي كانت تأتي مثلاً لعيسى بأن يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، أو آية من الآيات القاهرة، يقسمون بأنهم سيؤمنون. هنا الله يقول: بأنه ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الله هو الأعلم، هو العالم بالناس، هنا يقول لهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ ليست من عندي، سواءً تقسمون أو لا تقسمون، ليست بيدي، والله هو العالم بعباده جميعاً، ومعلوم بأن الله رحيم، لو أن شيئاً مُعيَّناً عندما يأتي قد يؤمنون، وبطريقة على وفق سُنة الله في هدايته لعباده، أنه سيأتي بها، بل رأيناه يأتي بأشياء كثيرة ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ هل يوجد شيء أبلغ من هذا؟ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾(الروم:٥٨).

هنا في عمل الناس، عندما يكون الناس يعملون على أساس دين الله، لإقامة دينه، قد تجد أطرافاً تُقدِّم مقترحات، وتقسم بالله (إنكم لو تعملون كذا لَكُنا معكم) لا تشدّك هذه، عندما يقترحون أولويات هم، يقترح رؤية مُعيَّنة هو، يقول هذا: (أقسِم لك بالله لو أنتم على هذه الطريقة لَكُنا معكم بقلب ورب، و...إلخ) لا.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(الأنعام:١١٠) إذاً هذه الآية من الآيات التي توضح لنا متى يكون ما يقول في آيات أخرى: ﴿جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾(الكهف:٥٧) ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾(البقرة:٧) طبع عليها، أشياء من هذه ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولأنه يُقدَّم من أول مرة بطريقة كاملة وواضحة، إلى درجة أن يوصِل الإيمان إلى داخل نفوسهم، أن يكونوا مؤمنين في واقعهم من داخل نفوسهم بأن هذه القضية هي حق وصدق، فمتى لم ينطلقوا على أساس ما قد قُدِّم إليهم في المرة الأولى، نقلب أفئدتهم، وأبصارهم، ونذرهم في طغيانهم، فلا يهتدون نهائياً.

﴿وَلَو أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيهِمُ الْمَلاَئِكَةَ﴾(الأنعام:١١١) ألم يقولوا هناك: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيمَانِهِمْ﴾(الأنعام:١٠٩)؟ ﴿وَلَو أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيهِمُ الْمَلاَئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوتَى وَحَشَرْنَا عَلَيهِمْ كُلَّ شَيءٍ قُبُلاً﴾ مواجهة، عياناً ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾(الأنعام:١١١) كما يقول في آيات أخرى، إلاّ أن يشاء الله معناه أن هؤلاء ليسوا معجزين، هذه القضية يجب أن نفهمها: أن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، ولو افترضنا بأنه أدى كل ما لديه من قُدْرة، وكل ما بإمكانه أن يعمل من أشياء، وعجز في هذا الإنسان، ألن يكون عجزاً؟

إذاً هو سلك مع الإنسان هذه الطريقة، أن يهتدي على هذا النحو، إذا أراد أن يهتدي، إن اهتدى فسيجازيه جزاءً حسناً، وإن لم يهتدِ فسيعاقبه، وعندما يكون معانداً إلى آخر درجة، فليس معناه بأنه أعجزه؛ لأنه يستطيع أن يهديه بطريقته الأخرى: بالطريقة التكوينية، بالطريقة القسرية، بأيِّ طريقة أخرى، يستطيع، بمعنى أنهم لم يعجزوه. إذاً فقد تنطلق هذه الأيمان: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ قد يكونون نوعية لو نزَّل إليهم الملائكة، وكلمهم الموتى، وحشر عليهم كل شيء قبلاً: مواجهة، عياناً ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾.

إذاً فمن خلال القرآن الكريم نفهم بأن الإنسان هو يسير وفق التوجيه القرآني، وليس وفق ما يمليه عليه الآخرون، وليس وفق مقترحات الآخرين، ومقترحات أولويات من جانبهم. هذه القضية أساسية، امشِ على هذه الطريقة؛ لأن الآخرين قد يجرجرونك إلى أن تضيِّع ما لديك، وتَضِيع أنت، وقد ترى من عندهم أحياناً حالات يبدو وكأنهم جادين (أقسِم بالله لو أنكم كذا كذا لَكُنا معكم ولا نفارقكم ونكون في المقدمة) هم في الواقع من هذا النوع، ستقول: (تمام، معك) سوف يقول: (لكن باقي أيضاً واحدة) وقدَّم لك خصلة ثانية، وهكذا، حتى تضيِّع الذي لديك، وإذا بك قد صرت تسير على هداه هو الذي هو هوى وضلال، وتترك هدى الله!

هذه القضية أساسية يحتاج إليها الناس، وكلما مشى الزمن، وكلما مشوا في أعمالهم يحتاجون إلى هذه الرؤية الثابتة وهي: أن نتعامل مع الآخرين، ونعمل في طريقنا هذه وفق ما يهدينا إليه الله، على أساس كتابه، دون أن نعطي الأولويات الأخرى والاقتراحات من الأطراف الأخرى أيَّ قيمة. إذا هناك أحد من داخل الناس هم يُقدِّم رؤية مُعيَّنة، وسيعرف إلى أيِّ جهة يُقدِّمها، وسيعرف على أيِّ أساس يُقدِّمها، أنه قدَّم رؤية إن قبلت فلا بأس، ما لم فهو مع الناس لن يخرج، لكن الآخرين يُقدِّم لك رؤية هناك على أساس أنك إن سرت عليها فسيقول لك إنه معك وليس صادقاً، إذا لم تمشِ عليها فسيقول: (أرأيتم أنكم لا تريدون أحداً أن يكون معكم؟! تريدون فقط أن تفرِّقونا، تريدون فقط كذا وكذا) لا تصغِ لهذه.

والقرآن الكريم يُقدِّم أمثلة كثيرة لهذه الفئة من الناس التي على هذا الشكل، ثم ترى بأنه لم يعطهم اعتباراً، هل أنزل لهم آية كما قالوا؟ بل كشف واقعهم كيف هم، بعد أن أقسموا بالله جهد أيمانهم، أي: بكل ما عنده من أيمان بالغة، أقصى ما يمكن أن يقول من عبارات أيمان، وهو في الواقع غير صادق؛ لأنك تجد مِن العجيب أن الله لا يترك الناس هم، المخلصين أنفسهم، المؤمنين أنفسهم، العاملين أنفسهم، لا يتركهم يسيرون على أمزجتهم، وعلى ما رأوه هم، وهم الذين لديهم إخلاص للقضية، ولديهم حسن نية، ناهيك عن أن يتركك للآخرين يُملون عليك هم، أليس هنا يقول لنبيه: قل كذا، قل كذا...إلخ؟ ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾(الأنعام:١٠٦) أي: لم تُترَك القضية لشخصه هو أن يمشي على مزاجه وعلى ما رآه؛ لأن المهمة كبيرة جداً، وأدق من أن يحيط بها فهمك كإنسان، إذاً فكيف يمكن أن تُخضَع المسألة لاقتراحات الآخرين، ورؤى الآخرين الذين ليسوا في عملك، وليسوا حولك؟!

قد يقول الإنسان: لكن لماذا يأتي أناس من هذه النوعية في مواجهة الأنبياء؟ لماذا لا يُهلِك الباري أولاً الناس الذين هم سيئون جميعاً ثم يبعث نبياً؟! ماذا سيعمل النبي؟ ماذا بقي له من عمل؟! إن الناس هم عباد لله كلهم،

ومطلوب أن تقوم حجته عليهم جميعاً، من آمن ومن كفر، من اهتدى ومن ضل. فتجد المسألة بشكل آخر، تأتي العبارة بطريقة أخرى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ وأعداء متحركون من الفئتين، من الجنسين: الجن والإنس، ومتحركون: يوحي بعضهم إلى بعض في مواجهة هذا النبي ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾(الأنعام:١١٢).

كنا نسمع كثيراً عبارة: (معنا أعداء، وليس الوقت مناسباً، وأعداؤنا كثيرون، وأعداؤنا معهم قدرات كذا، ونحن ليس معنا شيء...إلخ)! أليست هذه رؤية معناها بأن الناس مستعدون أن يعملوا إذا لم يوجَد أعداء؟ لكن الله هنا يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾.

إذاً لاحِظ أن الصراع نفسه، الصراع على أساس هدى الله يكون له إيجابيات كبيرة جداً، الأعداء الآخرون يكون عملهم دائماً يعطي شواهد لصحة ما عندك؛ لأنه بالنسبة للباطل، عندما يكون الباطل مجرد نظرية، ليس هناك من يجسده، من يمثله، فلا تستطيع أن تتصور قبحه، لا تستطيع أن تتصور فظاعته، نفسك قد لا تحمل غيظاً، أو تحمل غضباً، أو تحمل قوة في مواجهته. متى ما تجلَّى، وعادة أهل الباطل هم يتحركون فيتجلى الباطل من خلال مواقفهم، ويتجلى الحق بشكل أكبر في جانبك، من جانب ما يُقدَّم من عندك يتجلى، فترى قبح الباطل كيف هو، وترى كيف - عادة - يكون أهل الباطل، وترى كيف - عادة - يكون منطق أهل الباطل وتصرفاتهم، وكيف تكون نتائج أعمالهم، وكيف تكون عاقبتهم، وعاقبة من يسيرون معهم، وهكذا.

ليست المسألة تعني أنها تشكّل عوائق، وقلنا بالأمس: بأن هذه من أهم الأشياء التي يمكن أن نستفيدها من خلال القرآن الكريم، مما يعطي الناس ثقة قوية بأن يسيروا على هدى الله، وسينجحون، عرَض كل الأشياء من العوائق والمطبات التي تتصور أبسط شيء منها، أبسط عائق في هذا الزمن لم يعد يعمل شيئاً، ولا يعمل الكبير شيئاً، يَعرِض لك أن هناك أعداء: جن وإنس، ويتآمرون، ويكيدون، ومحاربين، ومتآمرين، من كل الفئات: جن وإنس، يهود، ونصارى، ومشركين، ومنافقين، ويستخدمون كل وسيلة: دعايات مضللة، تآمر، محاولة اغتيالات، محاولة تسميم، محاولة كذا... أشياء كثيرة جداً يتحركون فيها، ومع هذا نجح، ألم ينجح؟

عندما تفترض أن هذا دين لكن هذا الدِّين لا يمكن أن يعمل شيئاً، ولا يمكن أن يكون له أثر إلاّ إذا لم يكن هناك يهود، ولا نصارى، ولا منافقون، ولا كافرون، ولا أعداء، إذاً أن يكون الناس من نوعية الإمام علي، فتكون أنت مستعداً أن تجاهد، ومستعداً أن تكون قوياً، تكون قوياً على مَن؟! وتجاهد مَن؟ في الأخير تجاهد مَن؟! إذاً معناه أنه هكذا، عندما تجد في واقع الحياة هكذا، أناساً أعداء بمختلف أصنافهم يجب أن تفهم بأنك عندما تسير على هذا الكتاب، على هدى الله، فستتجاوز كل هذه الصعاب مهما كانت، فمن خلال الصراع - والصراع هو كيف يعتبرها في الحياة - أصبحت عادة مثلاً، أصبحت قضية ثابتة، الصراع نفسه، وإلاّ فلا نقول مثلاً: (أحقية هذا الدِّين لا تظهر إلاّ إذا كان هناك صراع) بل تظهر أحقيته إذا كان هناك من يتحرك على أساسه، أليس هذا يعني أن هذا الدِّين عظيم جداً؟ هو حق حتى وإن لم يكن هناك من يصارعه، تستقيم الحياة عليه على أفضل طريقة، وفي نفس الوقت حتى لو كان هناك من يصارع ستجده أيضاً يتجاوز الكل، ويظهر على الكل.

ليس معنى هذا بأن الله جعل لكل نبي عدواً (يؤذيه، ويشغله، ويزعجه، ويقلقه من أجل أن يأتي له ثواب)! ليست هكذا، لكن الصراع نفسه يفيد الإنسان كثيراً، ينمي خبراته، مواهبه، مداركه، تتجلى أمامه جاذبية الحق، وسوء الباطل.

لاحِظ الآن عندما نشاهد ما يعمل الأمريكيون والإسرائيليون، ألست تجد كيف يكون أهل الباطل مضللين؟ وكيف تكون نتائج تضليلهم؟ كيف تكون ممارساتهم، كيف تكون سياستهم، مثلاً هو مستعد أن يفجِّر تفجيراً كبيراً ويَقتُل أناساً من شعبه من أجل الانتخابات المقبلة ألاّ تنحط شعبيته فيها، من أجل أن يجلب أصواتاً! أليس هذا الباطل واضحاً كيف هو؟ أنت تجد كيف يعملون بالعراق، وفلسطين، وأفغانستان، وكيف يعملون في بقية الشعوب، أليس الباطل يتجلى لك بشكل تعرف سوءه وخبثه؟ وعندما ترجع إلى القرآن، وتفهم ما يريد الله للناس في هذه الحياة، فسترى فعلاً بأنه شيء عظيم لو ساروا عليه، ولَمَا كان لهذا الباطل وجود.

لكن لاحِظ كل الأمثلة ستُضرَب إذا قدِّمت لها مفاهيم أخرى، هذا مثال هام جداً، عندما تقول: فعلاً هناك أعداء للأنبياء بما فيهم رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وأعداء من مختلف الفئات، ومع هذا نجح! ألم يكن المفروض بأن نفهم؟ إذاً فهذه الطريقة طريقة يُعتمَد عليها، وأنها طريقةٌ مَن يسير عليها سيجعل الآخرين

يفشلون تماماً في مواجهته، ألم يكن هذا الشيء الذي يجب أن نفهمه ويعطي دفعة للناس أن يتحركوا على أساس هدى الله؟ لكن قدَّموا لها معنى آخر: (أن الدنيا هكذا: ابتلاءات، يعمل له عدو يزعجه لكي يأتي له ثواب)! موَّتوا الموضوع تماماً، هل أصبح له قيمة من الناحية العملية؟!

لاحِظ كيف في المقابل ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ وكأنها قضية ليست محط افتراء، وتتصور أنهم سيسدون الآفاق عليك، ويُحبِطون طريقتك والعمل الذي أنت فيه، تحرَّكْ، اتركهم، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: لن يضرك، لكن ماذا؟ إذا كنتَ مستقيماً، عندما يقول له: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ﴾ لاحِظ هنا هذه العبارة، وهي في مقامها مما يوحي لك فعلاً بأن هؤلاء الأعداء مهما كانوا فلن يضروك، ولن يعيقوك، بل تستفيد من خلال الصراع معهم، ومعلوم في هذا العصر نفسه أن الأمريكيين يقولون: إنهم يحاولون أن تأتي حروب من أجل أن يستفيدوا، ويجربوا أسلحة جديدة لديهم، ويحصلوا على خبرات عسكرية، لا يمكن أن يحصلوا عليها نظرياً، أبداً، هي هناك مجرد تنظير مثلاً، هم يريدون ميدانياً، ولا يريدون مناورات، المناورات تكون وهمية لا يستطيع أن يجعلها فاعلة، ويكسب خبرات حقيقية منها، فحروب حقيقية، حروب حقيقية إذاً سيجرب أسلحته، ويجرب خبراته التي لديه، ويفهم خبرات جديدة، ويعرف أشياء جديدة.

وما يأتي مثلاً من جانب عندما يقول: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾(الأنعام:١١٢، ١١٣) فيكون هذا بدل أنهم لم يسيروا على هدى الله يأتي لهم وحي شياطين جن وإنس ﴿غُرُورًا﴾ عندما ينصرفون عن الوحي الذي هو من الله إلى رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الذي هو هدى، هو حقيقة وحق، وليس غروراً، لم يعد معهم إلاّ أن يرجعوا للذين معهم ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُقْتَرِفُونَ﴾(الأنعام:١١٣) ثم بعد ذلك يعملون أعمالاً على أساس ما قد ارتضوه من وحي الشياطين، فتكون كلها ضلالاً على ضلال، وكلها تؤدي إلى عواقب سيئة.

﴿أَفَغَيرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾ مقابل اقتراح آيات، أو مقابل اقتراح أولويات، أو أشياء من هذه، أشياء كثيرة، يقول: لا يمكن أن أميل إلى غير ما جاء من عند الله. ﴿أَفَغَيرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ حكماً بيني وبينكم، ويفصل بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَينَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(الأنعام:١١٤).

يجب أن نفهم بأنها قضايا هامة جداً، عندما تجد توجيهات للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) توجيهات تؤكد عليه أن يكون مستقيماً، ألاّ يميل يميناً أو شمالاً مهما وجد من اقتراحات، مهما سمع من أيمان بالغة، مهما قدِّمت من أشياء، لا يميل، لأنها قضية خطيرة لو مال، بل يمشي وإن كان ما كان أمامه من أعداء، وأشياء من هذه، يعرف بأنه سينجح، وهذا الذي حصل، أليس هو الذي حصل بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟

بالنسبة لأهل الكتاب: ﴿وَالَّذِينَ آتَينَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ هذا القرآن ﴿مُنَزَّلٌ﴾ إليك ﴿مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ أنه حق في نفسه، وأنزِل بالحق، ومتضمن للحق ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ فيما لديك، وفيما أنزِل عليك، عندما ترى الآخرين لم يؤمنوا به، هذه قضية نقول دائماً: القرآن يركّز على أن يرفع الناس من هذه الحالة: حالة ألاّ تثق بما لديك إلاّ إذا قبله الآخرون، أو آمن به الآخرون، أو صدقوه، خاصة إذا الناس قد يكونون هم مظنة أن يُصدِّقوا بما جئت به، مثل أهل كتاب، أو أهل علم، أو أشياء من هذه. فعندما ترى بأنهم لم يرضوا أن يؤمنوا به، فتشك أنت فيما لديك فيضعف عملك، تضعف نفسيتك، تضعف مواقفك، هذه تكون غلطة كبيرة جداً. افهمْ بأنه قد يكون هناك آخرون لا يؤمنون به وهم يعلمون أنه حق.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾(الأنعام:١١٥) أليس يعطي هنا أشياء أساسية، أشياء تعطي مواقف ثابتة، ورؤى ثابتة؟ وهذا من نعمة الله عليه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كلمات تامة، لا يوجد فيها قصور على الإطلاق ﴿صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لن يأتي واقع يكشف أن هذه الكلمات لم تكن صحيحة، أو غير واقعية، أبداً، ولا أحد من الأطراف يستطيع أن يبدل كلمات الله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(الأنعام:١١٥).

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(الأنعام:١١٦) يعطيه هذه الرؤية الواضحة: لا تنظر دائماً إلى ما لديك أنه ذو قيمة إلاّ إذا آمن به الآخرون، افهمْ، الآخرون، وهم عادة، خاصة إذا كانوا مجتمعاً واحداً، وهم كانوا عندما بُعث رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عبارة عن مجتمع واحد، بل اليهود كانوا ضمن المجتمع، أي: لم يكونوا مجتمعاً متميزاً، كانوا ضمن المجتمع العربي في المنطقة. فهنا عادة تأتي اقتراحات، وتأتي رؤى،

وتأتي أشياء كثيرة من داخل المشركين الذين لا يزالون (هو وإياهم) أصحاباً، ولا يزالون قبيلة واحدة، وأشياء من هذه، ومن داخل أهل الكتاب، يقدِّمون له رؤى، يقدِّمون له أشياء كثيرة.

فيعرف أنه لو أطاع أكثر الناس - وعلى أساس أن يقولوا: (تمام) ويريد أن يكسب أكثر الناس - سيضلونك عن سبيل الله، فيصبح ما لديك أنت وهذه الأكثرية لا يساوي شيئاً، كم المسلمون اليوم؟ أليسوا يقولون: إنهم مليار وحوالي ثلاثمائة مليون؟ أعداد كبيرة جداً، لكن أصبحت وضعيتهم وما يُعمَّم في أوساطهم من ثقافة هي الفاعلة لديهم، لم تجعل لهم قيمة، عندما يقول أحد: (نريد أن نفرح ونتجمع - وأشياء من هذه - ونوافق هذا، ونوافق ذاك، ونرضى باقتراحات ذاك، ونمشي وراء هذا، وهكذا حتى نكون عدداً كبيراً). إذاً اجتمع لك آلاف، لكن أنت وهم على لا شيء، ضالين، إذا كنتم ضالين تصبحون لا قيمة لكم، لا تتركون أيَّ أثر في هذه الحياة، ولا يكون لكم قابلية عند الله لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾(الأنعام:١١٦) فيما هم عليه، وفيما يقدِّمونه لك من مقترحات ورؤى وأشياء من هذه، لا يمتلكون هدى نهائياً، ومعنى هذا: أنه في عملية مقايضة - مثلاً - أنه عندما تأتي وهذه هي عادة تحصل وهي حاصلة، هذه الخصلة هي أبرز شيء الآن عند العرب، تقريباً كثير من علمائهم، ومرشديهم، ومعلميهم، حكوماتهم، هذه الخصلة: محاولين كيف يسترضي الآخرين، ويطيعهم فيما يقدِّمون من أشياء، على أساس أن يكسبهم، أو يَسلَم شرهم، أو بأيِّ جهة كان، المهم أن هذه المسألة قد تأتي عادة في إطار مقايضة.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ﴾ لو اقترح عليك أكثرُ مَن في الأرض بأنه: (أنت اعمل كذا كذا، ونحن سنكون معك) مثلاً، لكن تسير على ما اقترحوه، وعلى ما قدَّموه لك، فتطيعهم فيه ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فتكون ضالاً أنت وهُمْ، معنى هذا أنه يريد أن يقطع الطريق تماماً، عندما يكون عندك حرص أن تجمع الناس كلهم، من أجل طمعك قد تحاول أن تسترضي هذا، وتطيع هذا فيما يُقدِّم من رؤى ومقترحات ﴿أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ﴾ لو أنهم سيطيعونك كلهم، على أساس ما يقدِّمونه لك هم، سيضلونك عن سبيل الله، فتصبح ضالاً أنت وهُمْ، إذاً فلا تطمع بالنسبة لقبيلة، أو قرية، أو حتى هذه الجزيرة بكلها، أي: لا تفرح بهذه الأرقام الكبيرة على الإطلاق ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾(الأنعام:١١٦) تخرُّصات: كذب وافتراءات.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(الأنعام:١١٧) لأن الإنسان أحياناً قد تحصل عنده فكرة أن يقول لهم: (تمام، عساهم أن يهتدوا) الله أعلم بمن سيهتدي، وبدون شروط، ولا إملاءات، وبمن هو سيضل لو تقبل كل ما لديه من شروط، أليست هذه قضية حاسمة؟ لأن هذه ثغرات كبيرة في أعمال الناس (نَقبَل، عندما نقول له: تمام في هذه عساه أن يهتدي) الله هو يعلم من البداية من هو الذي سيهتدي، ومن هو الذي سيبقى ضالاً لا يَقبَل نهائياً.

نحن بحاجة إلى أن نفهم هذه الأشياء بجدية، الناس إذا لم يفهموا على أساس واحد فسيختلفون هم فيما بينهم، سيقولون: (أمَّا هكذا فقد أصبحتَ متشدداً بزيادة، فقط هذه اقبلْها منهم ومضمون أن تراهم يستقيمون كلهم) ثم يختلف الناس فيما بينهم؛ لأنك لاحِظ هنا أن المسألة تُقدَّم على أساس أن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) - وهو فعلاً هكذا - إنسان حريص جداً على هداية الناس كلهم، لكن هذا الحرص يحتاج إلى رقابة شديدة وإلاّ فهو يُعتبَر واحدة من المنزلقات الخطيرة، لولا أنه رجل حكيم، وبتوجيه من الله، وبيَّن الباري كيف كان أحياناً يكاد يحصل له انزلاقة لولا رعاية الله، ليس على أساس أنه إنسان ينطلق على أساس - مثلاً - مطامع لديه، يقول: (إذاً سيَقبَلون كلهم، وستكون أكبر واحد فيهم (ملكاً عليهم) أو يحصل لك مصالح، أو أشياء من هذه) أبداً، عنده روح واحدة: حرص على هداية الناس كل الناس.

إذاً فهذه الحالة على الرغم من أنها حالة ممتازة جداً، هي حالة تُعتبَر فضيلة عظيمة، لكن يجب أن تكون دقيقاً في التعامل مع الآخرين وإلاّ قد يحصل خطأ كبير، وأنت حريص على هداية الناس، قالوا: (نريد كذا، ونريد كذا، ونحن مستعدون نؤمن بك)! في الأخير قد صار يرى أنه ممكن أن يأخذ عدداً من البلدان، قالوا: (قد أصبحوا مستعدين، إذاً لا بأس قبلْنا) وهكذا، ولا تدري إلاّ وقد أَلِفوا أن يقدِّموا هم أشياء (وباقي هذه، وهذه) وآخرون قدَّموا قائمة فيها أيضاً زيادة على ما قدَّم أولئك، يقولون: (قد رضي لأولئك أيضاً نريد أن يرضى لنا في هذه أن يَقبلها) ثم في الأخير يظن "عسى لا بأس وفكَّة مِن بَعد سنحاول بعد ذلك أن نهديهم"[1] هنا يقول هذه الطريقة تُلغى تماماً.

(١) فَكَّة: من اللهجة العامية، وتعني التسويف.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيكَ﴾(الأنعام:١٠٦) ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(الشورى:١٥) وعندك توجيهات مُعيَّنة، يَعتمِد على هذه الطريقة لا يَعتمِد على ما يقدِّمه الآخرون حتى ولو من منطلَق الحرص على هدايتهم، أو على أنهم عساهم أن يهتدوا مِن بعد، هنا يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾ أليس هذا يوحي بأن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كان لحرصه الشديد على هداية الناس أن هذه الحالة وإن لم يكن قد حصل عند رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) شيء من هذه المنزلقات الخطيرة لكنها تحصل عند الآخرين من بعده؟

نحن بحاجة نحن والذين قبلنا، والذي بعدنا، الناس بحاجة إلى هذه الرؤية الثابتة، وفعلاً نجد هنا في داخلنا (في داخل الزيدية) خلِّ عنك في باقي الدنيا، مَن عندهم هذه النظرة: يحاول أن يتأقلم كذا، يحاول كذا، من أجل إمَّا أن يحافظ على مشروعه الفلاني: مدرسة مُعيَّنة معه، أو كونه خطيب مسجد، أو أشياء من هذه، أو من أجل أن يكسب الطرف الآخر، يكسبهم! ولا تدري إلاّ وقد أصبح يُقسِّط الدِّين، يقدِّمه استرضاءات لهذا وهذا، وهو في الأخير يُعتبَر ضالاً ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول له: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

ولاحِظ من الأشياء العجيبة يأتي في قضايا مثلاً هي قضايا مأكولات، ذبائح، أليس يأتي فيها: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾؟ ثم بعد هذه التوجيهات الهامة يقول: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ * وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَا حَرَّمَ عَلَيكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ * وَذَرُوا ظَاهِرَ الأِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الأِثْمَ سَيُجْزَونَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ * وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَولِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾(الأنعام:١١٨-١٢١) ما هي هذه القضية؟ قضية أكْل مِن ذبيحة مُعيَّنة، هنا يقول: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فكيف بالقضايا الأخرى، القضايا الهامة؟

يؤكد بأن عليه أن يأكل فقط مما ذكر اسم الله عليه، لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، لا يقول فيما بعد: (ليست مشكلة، على أساس أن نجلس مع بعضنا، ونأكل معهم جميعاً، ونتحدث بعد الغداء، وربما يهتدون)! بل يكون لديه موقف ثابت: لا يأكل أبداً من شيء لم يذكر اسم الله عليه، ولو أدى إلى أنه لا يحصل اجتماع بينه وبين الذين قد أصبحوا مستعدين أن يعطوه ذبيحة لكنهم غير مستعدين أن يذكر اسم الله عليها، بمعنى ماذا؟ أن يكون ثابتاً، أليست هذه قضية تبدو طبيعية؟ قد تكون من الأشياء التي يمكن أن يُضحِّي بها الواحد؟ يقول: (ليست مشكلة، يأكل الواحد معهم ربما يهتدون، ثم مِن بعد سنذكر اسم الله على ذبائحنا نحن وإياهم)! لا ليس كذلك، الدِّين لا تقسِّطه أبداً؛ لأنك تدعو الناس إليه، لا أن تقدِّمه لهم هكذا تقسيطاً (استرضاءات).

﴿أَوَمَن كَانَ مَيتًا فَأَحْيَينَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام:١٢٢) لهذا يجب أن يفهم الفارق، ونفهم نحن جميعاً بأن الناس لديهم ما يُعتبَر نوراً، لديهم ما يُعتبَرون به أحياء؛ فيجب أن يلمسوا هم الفارق بينهم وبين الآخرين، فلا تحاول أن تَقبَل مِن الأموات، وتقبل ممن هم في الظلام أشياء يردونك بها إلى أن تكون كمثلهم؛ لأن هذه القضية تجدها في آيات كثيرة، موضوع المقارنة؛ ليعرف المؤمنون أهمية ما هم عليه، أنها طريق ذات قيمة، أنها نور، أنها حياة، أنها صراط مستقيم، من أجل ماذا؟ أن يثقوا، يجب أن تراجع نفسك من خلال المقارنة، يجعلك تنشدّ إلى ما أنت عليه، إذا انشددت إلى ما أنت عليه، ووثقتَ بما أنت عليه، واعتبرتَه نعمة كبيرة، فلن تكون مستعداً أن تبيعه وتعطيه تقسيطات للآخرين، مقابل استعطاف لهم كي يميلوا معك.

قد مر مثل هذا في آيات سابقة، ذكرنا أن هذه قضية هامة تُقدَّم للإنسان، والإنسان بحاجة إلى أن يستشعر هذا؛ لأن الانسان أحياناً يذوب في موضوع الآخرين، وهو يريد كيف يكسب الآخرين، وكيف يعمل بالآخرين، وكيف أنه لم يستجب الآخرون، إلى أن أصبح هو ينسى الموضوع الذي هو عليه، وأهمية ما هو عليه، وقيمة ما هو عليه. هذه القضية تحصل للإنسان إذا استرسل ذهنه في موضوع الآخرين، يجب أن يكون لديك التفاتة إلى أن تقيِّم ما أنت عليه، هذا الهدى، وهذا النور؛ لتعرف ماذا؟ يشد موقفك أمام الآخرين، أي: لو قدَّموا تنازلات، أو يريدون منك أن تُقدِّم تنازلات، فلا ترضَ أبداً. عندما يقول: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ أليس يُقدِّم مقارنة فيما بينهم؟ أطعتموهم أنتم، ما بين المؤمنين، وما بين المشركين، هل ستقبلون؟ والواقع هكذا: أن هنا أمواتاً في الظلمات، وهنا أحياء مستنيرين، أليس هذا يُعتبَر فارقاً كبيراً جداً؟ إن تطيعوهم تكونوا كمثلهم، هم أموات وفي الظلمات.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(الأنعام:١٢٣) أكابر مجرميها، وفي آية أخرى يذكر مترفين: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيهَا الْقَولُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾(الإسراء:١٦) عادة يكون بسطاء الناس منشدّين إلى الوجهاء: أصحاب رؤوس الأموال، والكبار في مدينتهم، أو كبار مجتمعهم، حتى إنه يحاول أولاً أن ينظر هل أولئك سيقبلون هذا الدِّين؟ هل سيرضون أن يستجيبوا له؟ وإلاّ فيقول: (واللهِ لم يرضوا) هو غير مستعد أن يسير معك إلاّ إذا كان ذلك التاجر قد رضي، وذلك الذي هو كبير في عينه! هنا يقول له: هؤلاء هم في الواقع هم شر على المجتمع، أنهم هم بداية الشر على المجتمع، لأنهم عادة هم من يكونون مكذبين؛ لأنهم يكونون مترفين، أصحاب مصالح كبيرة، ولا يريدون أن يأتي شيء يخرجهم مما هم عليه، يعطي أشياء قد يعتبرونها قيوداً أمام لهو، ولعب، وترف، وأشياء من هذه، وأمام كسب الأموال بطريقة أو بأخرى، وأمام استعباد الناس من خلال الأموال، فيعتبِر أن هذه الفئة هي الفئة التي عادة تجلب الدمار على المجتمعات.

إذاً فأنت عندما تتعلق بنظرك إلى هؤلاء، فأنت إذاً تعلق نظرك بمن هم أساس الدمار لك وللآخرين من أمثالك، التفت إلى ما قُدِّم إليك؛ لأن القضية هي حاصلة عند الناس، في المجتمعات، وذكرها فيما يتعلق بمجتمع فرعون، من خلال المقارنة ما بين موسى وفرعون، هم يرون فرعون هناك! معنى هذا: أن الإنسان ينظر إلى الهدى من أين أتى، ولا يقيِّم الهدى على أساس أن يكون لديه أموال، وأن يكون ذا وجاهة كبيرة، وأن يكون لديه إمكانيات كبيرة، وأشياء من هذه، أبداً.

يفهم الناس أن الشر لا يأتي على الناس إلاّ ويبدأ بسبب هؤلاء، وفعلاً هذه القضية ملحوظة، يكون المترفون هم في هذه المجتمعات العربية، المترفون هم من يتمكنون من أن يذهبوا إلى الغرب ويأتوا، ويحاولوا أن ينقلوا معهم تقاليد الغرب وثقافة الغرب، ويحاول أن يعمم - في المجتمع، في الشارع، في الحديقة، في الاجتماعات - الحياة الغربية، من السفور وهذه الأشياء، وهكذا، ويحرك المجتمع، يعمم فيه الفساد، يعمم فيه الجريمة، حتى في الأخير تكون هذه القرية، أو هذه المدينة، قد استحقت أن تدمر، أمَّا الفقير فهو لا يستطيع أن يسافر إلى فرنسا، وإلى أمريكا، وإلى البلدان الأخرى، ويرجع وقد صارت بناته لابسات ملابس قصيرة، وكاشفات، ويخرج هو وإياهن في الحديقة؛ لأن الفقير لا يكون حول هذا، لا يستطيع أن يؤمِّن معيشته (حياته اليومية) إلاّ بصعوبة.

وهنا يفهم الناس بأنه هكذا؛ لأن الناس عادة يجهلون من أين تأتي - في العادة - المشاكل عليهم ودمارهم، يتصورون أنه ذلك فلان، أو فلان الذي يدعوهم إلى هدى؛ ليكونوا بعيدين عن غضب الله، بعيدين عن العقوبات التي تأتي من جهة الله، أو تأتي أيضاً عن طريق تسليط الآخرين عليهم، فهنا يُقدِّم بأن مترفي المدن (أكابرها) هم أساس دمار الأمة، أساس دمار البشر.

هنا يُبيِّن هذه الفئة بأنها عادة تكون فئة متكبرة، فئة لا تقبل، ويأتي بعبارات عنهم عندما يقول عنهم: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾(الأنعام:١٢٤) وتجد هذه أيضاً لها قيمة من ناحية أخرى، أنك أنت وأنت في مسيرتك العملية لا تحتقرْ نفسك على أساس: لماذا الشخص الكبير الفلاني ليس معك: التاجر الكبير الفلاني، المسؤول الفلاني، وأشياء من هذه، أن هؤلاء عادة هم هكذا، وفي الأخير يُقدِّم لك عنهم كيف ستكون عاقبتهم ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ﴾ أنت تراهم كباراً، وتستصغر نفسك، تستصغر مَن هم في طريقك، فأولئك هم الذين سيكونون صغاراً ﴿صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

إذاً ألم يقطع في هذه الآية النظر إلى الشخصيات الكبيرة في المجتمعات، التي عادة تكون كبيرة، مترفة، مجرمة في نفس الوقت؟ لا تعلق أملك عليها، ولا تعلق قيمة الشيء الذي يُقدَّم لك إليها على أساس أنها تَقبَل، هي عادة فئة لا تَقبَل، هي التي تجلب الدمار على المجتمعات، هي فئة مستكبرة، وهي فئة في الأخير سيصيبها صغار، وعذاب شديد؛ لأن طريقتها هكذا: تمكر.

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام:١٢٥) وهنا قد قدَّم قبل هذه الآيات ما يجعل الإنسان يَفصل نظرته عن الجهات التي هي فعلاً قد لا تهتدي؛ ليتجه إلى الهدى من بابه، بدون أن يرتبه على أنه أولاً فلان يؤمن، أو فلان أولاً يستجيب، أو فلان يدخل في الموضوع، هنا يقول: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ

﴿صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ لا تترتب المسألة على أن فلاناً أولاً يؤمن، أو فلاناً أولاً يستجيب؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي من يشاء ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ لله، تسليم نفسك، تسليم نفسك لله لا يكون فيه قيود ولا شروط نهائياً، تسلِّم نفسك لله، لا يكون مترتباً على أنه أولاً يستجيب سيدي فلان، أو المسؤول الفلاني، أو (زعطان) أو (فلتان)[1] من الكبار هؤلاء، هنا لا يوجد تسليم، ليس الإنسان مسلِّماً نفسه لله، بل هو مسلِّم نفسه للآخرين، أنت مسلِّم نفسك للآخرين.

فبداية الهداية: أن يكون عندك انطلاقة تسليم نفسك لله دون قيد ولا شرط، ودون أن يكون فلان قد استجاب للموضوع، أو قد دخل فيه، أو ما زال خارج، نهائياً.

إن الله عندما يقول: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ يُبيِّن طريقة تكون بها بالشكل الذي يمكن أن تعرض نفسك لهداية الله، أليس هو يُبيِّن هنا الطريقة؟ يفصلك عن أشياء كثيرة، شياطين الجن والإنس، وأشياء من هذه، ثم كبار الشخصيات، أكابر مجرميها كما في الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ إذاً بقي ماذا؟ أن تتجه إلى الله، دون أن تعطي الموضوع أيَّ اعتبارات أخرى تعلِّقه عليها، معناه أن الله يهدي إلى الطريقة التي بها تدخل باب الهداية ليشرح صدرك، هو لا يجعل القضية بالتبخيت هكذا بالحظ، أو لا تدري كيف، بل يُبيِّن للإنسان الطريقة كيف يعمل إذا كان يريد أن يهتدي فيهتدي، سيشرح الله صدره، ويهتدي فعلاً.

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ لأنه في الواقع نوعية معلِّق نفسه بالكبار هناك، يصعَّد في السماء (يبدأ أولاً يستجيب أولئك، يبدأ أولاً يؤمن فلان، يبدأ أولاً يُسلِم فلان، يبدأ فلان أولاً يدخل في الموضوع الفلاني) فيكون هو معلِّقاً نفسه بشيء هو لا يعطيه حتى نصف دقيقة يرتاح فيها، فيكون كأنه في السماء هناك خارج الغلاف الذي فيه الأكسجين، فيكون ضيِّقاً، كل ما تقدِّمه له لم يرضَ أن يستجيب له؛ لأن ذهنيته معلقة بأشياء أخرى.

هنا قد تكون هذه الآية تعالج مشكلة، هي مشكلة كبيرة في المجتمعات، وفعلاً هو ذكر قوم نوح، كانت هذه من المشاكل الكبيرة الأساسية لديهم التي أعاقتهم عن الإيمان - على الرغم من بقائه تسعمائة وخمسين سنة - متعلقين بالزعماء: زعماء العشائر، كبارهم، الملأ، "يبدأ أولاً يؤمن، والبادي منه يُسلِم"[2] وذلك لن يؤمن؛ لأنه يَعتبِر أن مقامه ومصالحه متوقفة على أن يكون المجتمع على النحو الفلاني، وهم عادة يكون الكثير منهم هكذا، لا يبالي حتى بأصحابه، يكون همه مقامه ومصالحه الخاصة، وهو يعرف بأن مصالحه الخاصة لن تكون إلاّ ما داموا على تلك الطريقة، متمسكين بأصنام؛ ولهذا ذكر عنهم أنهم يقولون: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾(ص:٦) يقولون للمساكين: (قاتلوا عن الآلهة)! وعادة يكون الكثير منهم أذكياء، الكبار عادة يكونون فاهمين أن تلك الطريقة حق، لكن هو ليس حول حق، بل هو حول منصب مُعيَّن، وحول مصالح مُعيَّنة، من خلال المجتمع الذي هو فيه، يحركهم: (قاتلوا عن هذه الأصنام) وليس همه الأصنام، بل همه أن يبقوا على الحالة التي هم عليها، وهو عليها معهم؛ ليبقى منصبه ومصالحه. بقي قوم نوح تسعمائة وخمسين سنة، هذه إشكالية كبيرة جداً.

والقرآن الكريم يتناول كل قضية تُعتبَر عوائق، يتناولها بتفصيل كامل، لاحِظ كيف في موضوع الإرشاد في الفترة الماضية، ومراكز، وأشياء من هذه، ألم يبرز بعض المشايخ، الشيخ الذي هنا يوصي الشيخ الذي هناك، يقول: (انتبه عملوا عندك مركز، أي: في الأخير أصحابك سيأخذونهم!) أليسوا يقولون لهم هكذا؟

هم لا يفهمون بأن هذا الإسلام هو للناس جميعاً، أن بإمكانه هو وقبيلته أن يكونوا في الموضوع، ويبقى شيخاً وستكون قبيلته أفضل له، ويكون هو وإياهم مؤمنين، ملتزمين، على صراط الله، وليست المسألة أنه سيؤدي إلى ذلتهم، بل سيكونون أقوياء أفضل، سيكونون متعاونين معه أكثر، ويكونون منشدِّين إليه أكبر، لكن لا، يكونون مُعتَمِين، فيأتي يقول لذلك: (انتبه سيأخذون أصحابك، قد أخذوا أصحابي) لكن هو الذي عزل نفسه، هو يعزل نفسه هناك، ويرى أنه لا بُد أن يظل الناس على ما هم عليه، ولو كان الذي سيحصل لهم حق فلا يكترث أن يظلوا على باطل، أليس بإمكانه أن يدخل هو وإياهم في الحق؟ وانتهى الموضوع، ويبقى شيخاً عليهم، وله مقام محترم عندهم، ويتعاونون معه، يقفون معه أفضل من قبل.

---

(١) زَعْطان أو فَلْتان: تقال للسخرية، وتعني: فلان أو فلان.

(٢) البادي منه يُسلِم: من اللهجة العامية، وتعني: أنه يظن أن بإمكانه أن يُسلِم في أيِّ وقتٍ يشاء.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾(الأنعام:١٢٦) طريق واضحة، وتتسع لكل من يريدون أن يتحركوا عليها، ويدخلوا فيها. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(الأنعام:١٢٦، ١٢٧) وهذا قد يكون مثلاً على اختلاف تركيبة المجتمعات، أو الأشياء التي هي مؤثرة في المجتمعات، قد يكون مجتمعاً مُعيَّناً ليس فيهم مثلاً زعماء قبائل، قد يكون فيهم زعامات مثقفة، مثلاً علماء، أو أحبار هناك، أو رهبان، أو أيِّ عناوين من هذه، أو زعماء طوائف، المهم أن هؤلاء الكبار بعضهم يشكّلون عائقاً، إذاً فمن واجب الصغار أنفسهم ألاّ يعلقوا المسألة على هذا الكبير، يتجهون هم يرجعون إلى هذا الكبير، يقولون: (أنت لا بُد أن تدخل في الموضوع، ادخل في الموضوع وأنت كبيرنا، وأنت معنا، وحياك الله) لا أن يسيروا هم يرفضون ويقولون: (البادي منك) بل يفهِّمونه هم يقولون: (هذا دين الله لا يمكن لنا أن نطيعك ونتخذك صنماً، نتخذك نداً لله، نطيعك ونرفض دين الله، ادخل أنت في الموضوع، ونحن على ما نحن عليه) أليس من الممكن أن يحصل هذا؟

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ هو صراط مستقيم، لا يحتاج إلى أن تحاول (تدَّارى)[1] به هذا، أو هذا، أو (تدَّارى) به كباراً، أو (تدَّارى) به تجاراً، أو أشياء من هذه نهائياً، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ امشِ عليه، وهو يؤدي بك إلى الغاية، لا أحد يستطيع أن يقف أمامك في الطريق نهائياً. أحياناً في ذهنية الإنسان قد يرى أنه يحاول كذا، أو كذا من أجل ألاّ يقفوا في الطريق فيصطدم بهم! هذا صراط مستقيم، امشِ، مستقيم، أي: واضح، والصراط المستقيم أليس يؤدي بك إلى غايته؟ امشِ عليه فقط، ولن يقف أحد في طريقك بشكل يعيقك أبداً. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام:١٢٦، ١٢٧) هذا صراط مستقيم في هذه الحياة، ويؤدي بالناس إلى دار السلام.

﴿وَيَومَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِنَ الأِنسِ﴾(الأنعام:١٢٨) هنا يتجه يُبيِّن هذه بطريقة متكررة في القرآن، على وفق ما قال الله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾(الكهف:٥٤) ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾(الأنعام:١٠٥) لاحِظ كيف يأتي بشكل توجيهات مباشرة، أو بشكل توجيهات بواسطة قول للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وبواسطة أن يذكر ما سيحصل في الآخرة، أليس هذا من تصريف الآيات ليذكّر الإنسان؟

﴿وَيَومَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِنَ الأِنسِ﴾ أنتم أضللتم كثيراً من الإنس ﴿وَقَالَ أَولِيَاؤُهُمْ مِنَ الأِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾(الأنعام:١٢٨) وكأنهم يريدون أن يقولوا: إذاً إلى هنا ويكفي، وسنرجع، وابشر بنا، ومستعدون لكذا ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ في نصف الكلام، انتهى لا يوجد فرصة.

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأنعام:١٢٨، ١٢٩) كيف يُبيِّن هنا أيضاً ما سيحصل لمن يضلون عن سبيل الله، إن الإنسان لا يظن بأنه سيجلس في منطقة فراغ، وهذه قضية هي إشكالية أيضاً، إشكالية ملموسة عند الناس، في تاريخ البشر، وفي الحاضر، يتصور الإنسان أنه إذا لم يستجب لهذه الطريقة فإنه جالس هكذا في الوسط. لا، اعرف بأنك لم يبقَ لك عندما تعرض عن هذا الوحي الإلهي إلاّ وحي الشياطين بعضهم إلى بعض، فتتأثر بهم، عندما تعرض عن هذه الطريقة التي سيكون وليك فيها الله ورسوله وأولياؤه، فسيكون أولياؤك ظالمين مضلين تلقائياً، لا تعتقد أن بالإمكان أن تعيش في حالة وسط؛ لأنه لا يوجد وسط أبداً ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾(يونس:٣٢) الله أو تكون مع الشيطان، وحي الله أو وحي الشياطين، فتكون متولياً لله أو متولياً لشياطين الجن والإنس، وللظالمين والمضلين.

فهذه القضية يجب أن يفهمها كل إنسان منا، لا يفهم بأنه سيبقى في حالة وسط أبداً، ولاحِظ كيف أنك تلمس هذه القضية فعلاً، الإنسان إذا ابتعد أليس سيقبل كلام ذلك الذي يأتي من هناك؟ حتى أحياناً لا يوجه الكلام إليه مباشرة ليقول له، بل يعرض عليه: (انظر إلى أولئك الذين هم كذا وكذا، أليسوا "مُدبِرين"؟)[2] أليسوا كذا وكذا؟ لو أنهم يقعدون وليس لهم دخل، ويتركون كذا) سيقول: والله صحيح، أليس هنا صار يؤمن بما يوحي به شياطين إنس، أو عن طريق شياطين جن الله أعلم كيف تتم القضية؟ صار يؤمن بها، ويستجيب لها من غير أن توجَّه إليه مباشرة، إنما فقط تُعرَض أمامه عرضاً.

هذا من مظاهر ما يأتي في القرآن الكريم، أو من مصاديق ما يأتي في آيات مثل كلمة ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾(النحل:٩٣)

(١) تدَّارَى: أصلُه «تُدَارِي» مُشتَقٌّ مِن المُدَارَاةِ.

(٢) مُدْبِرين: من اللهجة العامية، وهي مشتقة من «الدَّبُور» وهو سُوءُ الحَظِّ.

إذا لم تستجب فتكُنْ من أولياء الله فسيجعل لك أولياء من الضالين، أولياء من الظالمين، ولا تحصل المسألة: أن الله يُخرِج مؤمناً ويدخله ضلالاً، يَفصِل ولياً من أوليائه عنه ويعطي ضالين يتولاهم، لا تحصل هذه أبداً، هم نوعية لا يصلح لهم إلاّ من هذه النوعية، ضالين، فلنجعل لهم أولياء ضالين، ويظلون يجمعون سيئات على أنفسهم، وأشياء، فيحصل لهم عليها عقوبات بها في الدنيا وفي الآخرة.

هذه حالة هامة جداً – إذا تأمل أحدنا – الناس هم بحاجة إلى أن يفهموها، يفهم الإنسان أنه لن يعيش في حالة وسط أبداً، وأنه إذا لم يهتدِ فسيضل، يعرف أن القضية خطيرة، لماذا؟ لأن الهدى من جهة الله – مثلما نقول أكثر من مرة – عملية مبنية على ماذا؟ على أن الناس في طريق، وعلى أساس تربِّي أمة لتكون سبَّاقة، أناساً قابلين لأن تزكو نفوسهم. هؤلاء المتثاقلون "الْمُتَبَهْطِلُون" المتشرطون، هذه النوعية لا تصلح، تبقى هناك، قد يضلهم، يبعدهم؛ ليخاف الإنسان، يخافه، وهذا مظهر من مظاهر أن الله غني، هو رحيم، ترى كم يعمل من أشياء كثيرة، يصرِّف الآيات لعلهم يعقلون، لعلهم يفقهون، وأشياء كثيرة، ولا يريد أن يقبل سيضله إلى آخر درجة، لم يعد معه إلاّ أن يبقى في ضلال، ويكسب ضلالاً، ويدخل في ضلال، فيغرق ويهلك.

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأنعام:١٢٩) بما كانوا يكسبون، وإلاّ فالله لا يمكر بأوليائه أبداً، ولا يمكر بالمهتدين، بل يرعاهم. فهو ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فلا يصلح لهم إلاّ هذه النوعية، وأن يعيشوا في وضعية كهذه.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ﴾ هنا يذكر لهم ما سيقال لهم في الآخرة: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَومِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا﴾(الأنعام:١٣٠) قد جاءت رسل، وجاءت آيات، وفعلاً كنا ضالين، وكنا كذا، مثلما حكى عنهم سابقاً، يريدون أن يفتحوا موضوع: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾(الأنعام:١٢٨) وقطع الموضوع عليهم.

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾(الأنعام:١٣٠) هنا، فتجد عندما غرتهم هذه الحياة، كيف سيكونون في الآخرة؟ فعلاً موقف من اغتر، بمعنى خدع، ضل، هنا أعطى صورة كاملة ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُبْلِسُونَ﴾(الأنعام:٤٤) ألم يُقدِّم لك هنا صورة عن مظاهر الآخرين حتى لا تنخدع بها؟

(...)

﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * ذَلِكَ أَن لَمْ يَكُن رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾(الأنعام:١٣٠، ١٣١) هذا التبيين، وما يقصه الرسل على البشر، ما يأتي من تبيين للناس، أن الله سبحانه وتعالى لا يهلك أناساً وهم غافلون، لا يهلكهم إلاّ من بعد أن يكون قد بيَّن لهم، وجاء لهم بيان كثير. بقي في حالة أن يكونوا معرضين، أي: إذا تأملتَ في واقع الحياة الآن تجد أن القضية تسير على سُنة الله هو مع الناس، ولو لم يلتفتوا، يؤاخذهم بما هم عليه؛ لأنهم في واقعهم معرضون، عندما يكون القرآن بين أيديهم، أليس القرآن موجوداً؟ موجود عند المسلمين، وموجود عند البشر ربما في معظم هذه الدنيا، بالذات عند المسلمين، ثم ترى وإذا الدنيا تسير، وإذا فيها عقوبات: عقوبات ظالمين، عقوبات فاسقين، عقوبات بعيدين عن هدى الله، وعقوبات مُفتَرين على الله، وعقوبات مضلين عن هدي الله، هذه قائمة، يعني ماذا؟ لم تعد القضية أن نعتبر الحالة التي نحن عليها حالة طبيعية، وكأننا غير عارفين! أليس الناس فاهمين أن هناك قرآناً وبلُغتهم، وهم يقرؤونه، ويسمعونه من الإذاعات، ويسمعونه من المسجِّلات، ويسمعونه من التلفزيونات؟

إذاً هو يؤاخذ الناس على واقع القضية، على واقعهم هم، هم معرضون، فلكونهم معرضين، هم ضالون، هم كذا، هم كذا، تأتي عقوبات. ومع هذا يأتي عادة في سُنة الله، يأتي تبيين بأشياء كثيرة. لاحِظوا الآن إلى درجة ربما قد يكون حتى من كانوا بعيدين عن هذه الأشياء، عن موضوع القرآن، وعن الالتفات إليه، مثلاً كثير من حكام العرب، ألم تتجلَّ لهم القضية، وضعيتهم الآن أنها وضعية خطيرة، وأمام عدو خطير، وأمام كذا، ورأوا آخرين ممن عانوا كيف رجعوا إلى الدِّين، وكيف رجعوا يحاولون أن يتحركوا باسم جهاد في سبيل الله، مثلما عمل (صدام)؟! إذاً أليس هناك أشياء تأتي تبيِّن لهم؟ الآن اتضحت مثلاً مثلما نسمع حتى هذه الليلة، يوجد تساؤلات في أوساط الناس: من هو المستفيد من هذه التفجيرات التي حصلت في تركيا؟ هناك سؤال بدأ يظهر، أي: أن الناس يشكّون أن الإسرائيليين والأمريكيين هم فعلاً وراء هذه التفجيرات، فيكون إعراضاً واضحاً.[1]

(١) في يومي ١٥و٢٠ من شهر نوفمبر عام ٢٠٠٣م حدثت ٤ هجمات بشاحنات ملغومة انفجرت في مدينة (إسطنبول) بتركيا، أسفرت عن ٥٧ قتيلاً و٧٠٠ جريح، استهدفت معبدين يهوديين ومقر بنك (HSBC) والقنصلية البريطانية. (موسوعة ويكيبيديا).

وقد يأتي من يُذكّر الناس هنا أو هنا، ولا يرضون أن يفهموا، لاحِظْ عندما ننطلق نحن، ألم ننطلق على مدى سنتين، نحاول أن نذكّر بهذا الموضوع؟ ماذا يعملون من هم بحاجة إلى هذا التذكير نفسه؟ مثلاً هذه الدولة القائمة عندنا، أليسوا بحاجة إلى هذا التذكير هم؟ أليسوا أول من سيُضرَب هم؟ ماذا يعملون؟ يحاولون أن يُسكِّتوا الناس، يحاولون أن يُسكِّتوهم، ويحاولون أن يحبسوهم، أليست هذه أشياء غريبة؟!

﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾(الأنعام:١٣١) لأنه رحيم. ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام:١٣٢) لهم درجات بالنسبة للضالين، للمجرمين، وكل سيجعله في الدرجة التي يستحقها (درجات جهنم).

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾(الأنعام:١٣٣) ولاحِظ هذه الآيات الأولى أليست آيات منطق غنى؟ ﴿وَلَو شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾(الأنعام:١١٢) ﴿وَلَو شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾(الأنعام:١٠٧)...إلخ، يذكر بأنه ممكن أن يهلك قرى، ويهلك أمماً ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ هو غني، ورحيم، وهذه من الأشياء العجيبة، الإنسان الذي ليس رحيماً عندما يرى نفسه مستغنياً لا يبالي بالآخرين، فهو غني ورحيم، يُقدِّم للآخرين هدى، ويهديهم إلى طريق نجاة، ويبيِّن لهم أهمية هذه الطريق، لم يرضوا، فهو غني عنهم، يزيحهم من طريقه هناك، من صراطه المستقيم، ألم يقل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيرِ الْحَقِّ﴾(الأعراف:١٤٦)؟ ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَا يَشَاءُ﴾ فهو قادر على ذلك ﴿كَمَا أَنشَأَكُم مِن ذُرِّيَّةِ قَومٍ آخَرِينَ﴾(الأنعام:١٣٣) قد أهلك أمماً من قبلكم، وجاء بكم أنتم من بعدهم.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ كلام قاطع، ما توعدون به لآت، حقيقة، لا يتخلف ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾(الأنعام:١٣٤). فلاحِظْ هنا عندما تأتي عبارة كهذه: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ فهو سبحانه وتعالى رحيم، أليس هناك وعود من جانبه بالنسبة للمؤمنين في هذه الدنيا وفي الآخرة؟ الرحيم القدير ألا يكون إلى تحقيق ما وعد به مما هو رحمة أسرع من تحقيق ما وعد به من عقوبة؟ فعندما يقول هنا في مجال العقوبة وهو رحيم: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ معناه في الأشياء التي هي رحمة لأوليائه بالتأكيد هي مثلما تقرؤها مرتين، إنما وُعِدتم به لآت.

﴿قُلْ يَا قَومِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(الأنعام:١٣٥) في الأخير عندما يكون هناك فئات من الناس هم مصرون على ما هم عليه، وعادة هم ينطلقون من نظرة وقتية لمظهر الحياة، يقول: (أنا سأمشي في طريقتي، وأنتم خلاص إذا كنتم مصرِّين على هذا، وسيتبين في الأخير من تكون له عاقبة الدار، العاقبة الحسنة) ألم يتبيَّن في الأخير من كانت له عاقبة الدار؟ أليس الإسلام ظهر في هذه المنطقة، وفشل المشركون وأصبحوا في الأخير – عندما دخل عليهم إلى مكة – بين يديه؟ ((ما تظنون أني فاعل بكم؟)) قالوا: (أخ كريم، وابن أخ كريم).

هذه قضية هامة بالنسبة للناس عندما يكونون لا يفهمون، قل على أقل تقدير: راقِبوا المستقبل، إذا ما زال بالإمكان أنكم عسى أن تأخذوا عبرة مما سيأتي من أحداث لتعرفوا بأن رؤيتكم رؤية خاطئة، وأن طريقتكم طريقة عاقبتها سيئة؛ لتعودوا إلى الصراط المستقيم وإلى الطريقة الصحيحة. لا يزال ممكناً أن يتحدث الإنسان مع الآخرين، يقول لهم.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾(الأنعام:١٣٦) ثم بيَّن بعد ذلك: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَولاَدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ﴾(الأنعام:١٣٧) ثم بعد ذلك: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾(الأنعام:١٣٨) تلاحِظ هنا كيف أن الإنسان بفطرته بتكوينه لديه هذه النزعة: النزعة التشريعية، التقنينية، سواءً تُقدَّم بشكل تقاليد، أو تُقدَّم بشكل قوانين، سواءً تقاليد لمجتمع قَبَلي (عشائري) أو بشكل قوانين لمجتمع دولة؛ لأنها قضية فطرية عند الإنسان.

ثم لاحِظ ماذا يُقدِّم الإنسان هو متى ما قدَّم؟ يُقدِّم أشياء تافهة، أشياء غريبة، أشياء لا قيمة لها، وأن الإنسان يجب عليه أن يفهم أن عليه أن يهتدي بهدى الله، وأن يلتزم بما شرَّعه الله له، أول شيء هو يعرف أن التشريع قضية ضرورية في الحياة؛ لهذا يجعلون مثلما قال: ﴿هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ أليس هؤلاء مشرعين من جهة أنفسهم تشريعات؟ وربما هم يضفون عليها شرعية يحسبونها على الله، وكأنها من بقايا دين سابق مثلاً؛ ولهذا سمَّاها في الأخير جعلها افتراء عليه، سواءً افتراء عليه باعتبار أنهم يشرعونها ويحسبونها على الله، أو أنهم يشرِّعون هم، وليس لهم أن يشرِّعوا، فمن يشرِّع فيتناول ما ليس له فهو مفترٍ على صاحب الحق الذي له الحق أن يشرِّع.

هذه من الأشياء الغريبة: أنه يُقَدَّم تشريع، هدى على مستوى راقٍ، ويبيِّن لهم فيه من خلال تقديمه قيمته بالنسبة لهم، أثره في حياتهم، ثم ينصرفون عنه، ويذهبون ليشرعوا هم، أنها قضية بالنسبة للسابقين، وبالنسبة للمعاصرين، ينصرفون الآن عن القرآن، ويتجهون ليصيغوا دساتير، وقوانين، ولوائح وأشياء من هذه، والآخرون كانوا يشرِّعون، وكل واحد يشرِّع على مستوى مجتمعه، والأشياء الحاصلة عنده، تشريعات هنا كانت على البقر والغنم والإبل، هذه لا نأكلها، وهذه نأكلها نحن والنسوان، وهذه للذكور وحدهم، وهذه سائبة، وهذه نقصُّ أذنها ونتركها، تشريعات أليست "تطانين"؟[1]

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ ولاحِظ كيف هناك أنها تشريعات بعضها خطيرة، مثلاً لا تدري إلاّ وقد ظهرت له فكرة أن يقتل ابنه: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ زَين لهم شركاؤهم قَتل أولادهم ﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيهِمْ دِينَهُمْ وَلَو شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾(الأنعام:١٣٧) مع أن دين الله يُقدَّم ليحيا الإنسان، ويحيا أولاده، ويقال له: اطلب ذرية طيبة كم ما تريد، وأنت تسير على هدى الله لستَ بحاجة إلى أن تَقتُل أحداً من أولادك لأيِّ اعتبار كان، لا خوف إملاق، ولا لأيِّ شيء آخر، أليست هذه تشريعات خطيرة؟ لأن الإنسان إذا انطلق هو ليشرِّع فسيشرِّع أشياء خطيرة جداً عليه، ليس فقط على المجتمع، بل داخل الأسرة نفسها.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(الأنعام:١٣٩) هذه تشريعات لا قيمة لها (تشريعاتهم هم) هو يقدِّمها على أساس أن يقارن الإنسان بين تشريعات الله، وبين ما يُقدِّم الآخرون، وأن يعرف الإنسان أنه هكذا بالنسبة للمجتمع هو يحتاج إلى تشريعات، وعند الناس فطرة تشريعات، فيجب عليهم أن يرجعوا إلى الله الذي له الحق أن يشرِّع لهم، وأن يفهم أيضاً من يتحركون لتطبيق شرع الله أنهم لن يأتوا بشيء منافٍ للفطرة؛ لأن الناس بطبيعتهم يقبلون التشريع، هم هؤلاء قبلوا تشريعات مغلوطة، في هذا الزمن وفي الزمن الأول.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَولادَهُمْ سَفَهًا بِغَيرِ عِلْمٍ﴾(الأنعام:١٤٠) هذه بسبب تشريعات تحصل عندهم حتى وصلوا إلى درجة أن يقتلوا أولادهم، وهناك فيما يذكر نبي الله نوح وهو يتحدث مع قومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيكُم مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَارًا﴾(نوح:١٠-١٢) أليس هذا تشريعاً يعطيك أموالاً، وبنين، وجنات، وأنهاراً من جهة الله؟ ليس تشريعاً لتعود على أولادك تقتلهم هكذا سفهاً، ليس لها أيُّ قيمة.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَولادَهُمْ سَفَهًا بِغَيرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾(الأنعام:١٤٠) يحرمون على أنفسهم أشياء ليس لتحريمها قيمة، ويأكلون أشياء هي التي كان يجب أن يمتنعوا عنها مثل أكل الميتة التي حرمها عليهم فيما بعد ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾(الأنعام:١٤٠) ثم لاحِظ أيضاً بأنه كيف يُبيِّن، وهذه التشريعات في أيِّ شيء هي، أليست في قضايا بسيطة؟ قضايا مأكولات، وهنا يبيِّن بأنها قضية ليست طبيعية، ليس للإنسان حق أن يشرِّع - ولا في أبسط الأشياء - من جهة نفسه، الحق هو لله سبحانه وتعالى، فمن شرَّع - وإن كانت قضايا بسيطة وإن كانت قضايا قد تبدو غير مؤثرة بالنسبة للمجتمع، لكن هي سخيفة - يُعتبَر مفترياً على الله، أليس هنا يقول: ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾؟

﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فمعنى هذا ماذا؟ بأن الناس عندما يتجهون تحت اسم (اجتهادات) وينزِّلون تشريعات خلاف ما شرَّع الله، وينزلون توجيهات خلاف هدي الله سبحانه وتعالى، فهذه جريمة كبيرة، هو افتراءٌ على الله، ليست قضية سهلة، أنه إذا كان هنا لا يسكت عن أشياء، ويعتبرها افتراءات عليه، ويعتبرها جريمة أن يتناولوا التشريع فيها، ويحسبوها عليه سبحانه وتعالى، وهي قضايا مأكولات، أليست هذه مأكولات؟ فكيف بقضايا أمة؟! كيف بالتشريع في الأشياء الأخرى؟ كيف بمفاهيم مغلوطة تنزلها للناس، وتحسبها على دين الله، وتحسبها على الله؟! (أن الله هو الذي جعل الحياة كذا كذا، الله هو الذي شرَّع كذا كذا، هو الذي توجيهاته كذا كذا) أو تُقدِّم آية قرآنية بشكل تُقدِّم لها مفهوماً يَضرِب ما يريد الله منها في نفوس الناس، هذا افتراء في قضايا خطيرة يُعتبَر جريمة كبيرة؛ لأن الافتراء على الله يُعتبَر جريمة كبيرة حتى في هذه القضايا البسيطة (قضايا مأكولات) وأنه هناك اعتبرهم فيما لو أطاعوهم عندما قال هناك إنهم يجادلونهم: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَولِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في ماذا؟ أليس في قضايا مَيتَة (أكل حيوان)؟ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ

(١) تطانين: من اللهجة العامية، وتعني: وَسَاوَس.

﴿لَمُشْرِكُونَ﴾(الأنعام:١٢١) فكيف عندما تطيع في قضايا أكبر من المأكولات؟! تطيع ما يُقدَّم لك من غير شرع الله، وغير هدى الله، هذا معناه بأنه شرك أعظم من هذا الشرك نفسه، بأنه أطاع أناساً عندما يجادلونه في موضوع مَيتَة، ويقبل منهم ما قالوا ويأكل معهم، ألم يطعهم؟

هذا يؤكد أنها قضية خطيرة جداً؛ لهذا نقول: بأنه غير صحيح أن الله يفتح هكذا الموضوع للناس كل واحد "يُطَنِّن" مِن عنده، وكل واحد يشرِّع مِن عنده، ويوجِّه ويُقدِّم مفاهيم مِن عنده؛ لأن الله هو مَلِك الناس، إلههم، وربهم، هو الذي له الحق وحده أن يشرِّع، له الحق وحده أن يوجِّههم، أن ينزل إليهم هدى، أن يكون هداه هو الذي ينزل إليهم.

ثم لاحِظ كيف تأتي الطريقة، أن يذكر أيضاً أشياء من مظاهر الحياة: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيرَ مُتَشَابِهٍ﴾(الأنعام:١٤١) أليست هذه أشياء فيها مظهر من مظاهر تدبير الله وملكه وربوبيته؟ إذاً فهو الذي له الحق أن يشرِّع لعباده، وهو الذي له الحق أن يُطاع، لا أن يُطاع الآخرون، أن يُطاع فيما يهدي إليه، فيما يشرِّع لعباده؛ لأنه هو ربهم، هو الذي يُسبِغ عليهم هذه النعم العظيمة ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ لاحِظ كيف يأتي سياق هذه الآيات في تعبيرها يشبه منطق تشريعهم: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيهَا﴾(الأنعام:١٣٨) أليس هذا تقليب كذا وكذا؟ يقول الذي يقلِّب الأشياء - جنات معروشات وغير معروشات - هو الذي له الحق أن يُطاع فيما شرعه، والذي له الحق وحده أن يشرِّع.

قد أصبحوا يتصورون أنهم أذكياء وقد أصبح لديهم تفصيلات: (هذا لا بأس، وهذا لا تتناولْه، وهذا إذا كان كذا فلا بأس، وإذا كان هكذا فلا) أليست هذه تُعتبَر (فَنْقَلة)[1] وكأنه ذكي عارف بتفصيل الأشياء، وعارف بكذا؟ نقول: انظرْ هدى الله سبحانه وتعالى، لاحِظْ كيف تدبيره، حتى وفق رؤيتك هذه: هذا كذا، وهذا كذا، كيف أنه مدبِّر، وتدبيره على مختلف الصور.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ أي: من الأشجار التي تحتاج إلى أشياء ترفعها وتحملها، عريش من الخشب مثلاً، أو أشجار أخرى تعتمد عليها مثل العنب. ﴿وَغَيرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ مثل النخيل، والرمان، وغيره من الأشياء التي تكون قائمة بنفسها.

﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ منها شيء حالي، وشيء متوسط الحلاوة، وشيء كذا، وشيء كذا، أليس أولئك يقولون: كذا وكذا؛ لأنه أحياناً إذا في موضوع التشريع يكون الإنسان الذي يظن أن لديه قدرة للتفصيل ويُقدِّم بنوداً مُعيَّنة، تفصيلات: مادة واحد، إذا كان كذا كذا فليكن كذا، وإذا لم يكن، فإن كان كذا وكذا فكذا. مادة اثنين... وهكذا، ثم يَعتبِر أنها صياغة تشريعية راقية، أنه قد صار يستطيع أن يُقدِّم فقرات مختلفة يقلبها كذا وكذا! هنا يقول له: انظر، الله هو يُقدِّم الأشياء كذا وكذا؛ لتعرف أنه يدبِّر ويشرِّع، هذا كذا وهذا كذا، هو صاحب كذا وكذا هو وليس أنت.

﴿وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾(الأنعام:١٤١) كلوا، أليس هو يقول: كلوا؟ إذاً وفي شرعه: اتبعوا، لا تحتاج إلى أن تبدأ فتقول: كذا، وتعمل كذا وكذا.

﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَومَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأنعام:١٤١) آتوا ما فرضه من حق فيه، وهذا يبدو أنه فعلاً هناك فرضية في الأموال ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾(المعارج:٢٤، ٢٥) أو كالزكاة، الزكاة عندما يكون الناس في وضعية قد تكون مثلاً جهة تأخذ الزكاة، ولا تعطي الفقراء شيئاً منها، يفهم الإنسان أنه بقي أن يعطي حقاً للفقراء ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَومَ حَصَادِهِ﴾ أي: أنه يكون واجباً في عين المال وقت حصاده، وهذه لها أهمية كبيرة تحدثنا عنها سابقاً في موضوع المال، كيف أن هذه لها أثر كبير فيما يتعلق بالنفوس، أن الفقراء أنفسهم وهم يرون مختلف الجنات، ومختلف الزروع، سيكون هو نفسياً مرتاحاً بأنه سيحصل له من هذه الثمرة، ويحصل له من هذه الشجرة، ويحصل من هذه، فتكون نفسه طيبة، تزيح ما قد يكون هناك من حالات نفسية قد تؤدي في الأخير إلى حسد، وإلى عداوة لأصحاب المزروعات (الأغنياء) هنا لن يدخل في نفسه شيء عليهم؛ لأنه إذا رأى (قات) ممتاز عارف أنه سيأتي له منه، إذاً هنيئاً لهذا التاجر الذي معه أموال كثيرة، يرى زرعاً جيداً، يرى فواكه أخرى؛ ولهذا كان لها أهمية كبرى أن تُخرَج من عين المال ﴿يَومَ حَصَادِهِ﴾ لا تُخرَج نقوداً، النقود موضوع آخر،

(١) الفنقلة: اختصار في التعبير مأخوذ من قولهم: (فَإِنْ قِيلَ).

ليس لها قيمتها في النفوس كقيمة أن يعرف الفقير أنه سيحصل من عين ثمار هذه الجنات، وثمار هذه المزارع. فهذا هو الصحيح الذي يجب أن يُعمَل به، لا يأتي أحد يعمل اجتهادات أخرى، وتفريعات أخرى: أنه يصح، ويجوز، وأشياء من هذه، مفروض في عين المال أن تخرجه يوم حصاده.

﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾(الأنعام:١٤٢) وهو الذي جعل لكم الأنعام حمولة: يحمل، ومنها ما يصلح أن يكون فراشاً لكم من أصوافها وجلودها. ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(الأنعام:١٤٢) هنا، ألم يُقدِّم المسألة بأنه يجب أن تفهموا بأنه في تدبيره هذا ترون كيف أنه يُقدِّم الشيء جاهزاً لكم، فلا تحتاجون إلى كذا، أو تحتاج أنت إلى أن تعمل لك سَطل طلاء أسود، وتسرح على العنب تطليه "بُويَة سوداء"؟[1] هل يحتاج أحد إلى ذلك، أو يحتاج إلى "بُويَة حمراء" للتفاح، أو يحتاج أشياء من هذه؟ يُقدِّم لكم الأشياء جاهزة ﴿كُلُوا﴾ إذاً في التشريعات يُقدِّم الأشياء جاهزة (اتّبِعُوا) لا تحتاج إلى تصنيفات كذا وكذا، يعرف الواحد - إذا رأى التقنين في مجلس النواب، وفي غيره - الصياغات كيف تكون، كذا وكذا، وإن كان كذا فكذا وإن لم فكذا، أليست تكون بهذا الشكل؟

﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ واتبعوا ما هداكم إليه الله ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ﴾ فيما قدَّم لكم من نِعم، تعملون فيها تشريعات أخرى، ولا فيما هداكم إليه فتسيرون في طريقة أخرى هي طريقة الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ الشيطان عدو مبين، يحاول أن يعمل أيَّ شيء يضرك، وإن كان في أبسط الأشياء، يجعلك تلعب، وتُقدِّم تشريعات في أشياء لا قيمة لها؛ لأنه يفرح بأيِّ موقف تضل فيه، وإن كان بسيطاً، لو لم يطلع لك إلاّ سيئة واحدة، هو يعتبرها مكسباً كبيراً ﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة، معنى هذا: أن الشيء الذي يُعتبَر خلافاً لهدى الله وتشريعه لم يعد إلاّ خطوات الشيطان، فإمَّا أن تسير وراء ما رسمه الله لك، وإلاّ فستسير وراء خطوات الشيطان تلقائياً، والشيطان يسير أين سيصل؟

لاحِظ أنه كيف يقول: صراط مستقيم، يُقدِّم دينه صراطاً مستقيماً، ويجعل له أعلاماً لهذا الدِّين، يقول لهم: اتبعوهم، أليس يقول بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾؟ لأنه يسير على هذا الصراط، ويؤدي إلى الغاية العظيمة هنا في هذه الحياة وإلى الجنة، رضوان الله وجنته، أليست هذه خطوات هامة؟ وإلاّ إذا لم تسر هنا فستسير وراء الشيطان في طريقه خطوة وراء خطوة إلى جهنم، أليس هنا يُقدِّم المسألة أنه لا يوجَد حالة وسط؟ لا يوجد، فقط إمّا أن تسير هنا إلى الغاية العظيمة، أو تسير وراء خطوات الشيطان إلى جهنم.

يذكر أيضاً بالنسبة لهذه الأنعام أنه هو خلقها ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ وهو يعلم، من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الإبل اثنين، وأشياء من هذه. لم يحرِّم ﴿آلذَّكَرَينِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَينِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَينِ﴾ إذاً فلا يحتاج منكم هذه التقليبات، الصياغات، التعبيرات القانونية، هو يعلم، لكان سيُحرِّم هو؛ لأنه هو الذي جعلها أزواجاً، أي: لاحِظ هنا كيف تسير القضية فيما هو أشبه بالسخرية من حالتهم وهم يشرِّعون، هذا كذا وهذا كذا، وهذا إذا كان فلا بأس، وإن كان كذا فكذا، أليست هكذا؟ فهنا يقول: هو خلق الثمانية الأزواج، الأصناف: من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، أي: من كل زوج اثنين: ذكراً وأنثى، وقد يكون من الصنف الواحد أيضاً أصناف كثيرة.

إذاً فلا يحتاج إلى "تشطيبات"[2] من عندكم تكملون تقولون: (هذا حرام، وهذا حلال، وهذا كذا، وهذا كذا) لأنه لاحِظوا من البداية أن الذي خلقها أصنافاً ألم يكن باستطاعته أن يقول: هذا الذكر محرَّم، وهذه الأنثى محرَّمة، ويعمل تصنيفات من هذه؟ لهذا يقول: ﴿آلذَّكَرَينِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَينِ﴾ هل حصل تحريم من جانبه لهذا؟ ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَينِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(الأنعام:١٤٣) ليس مِن عنده تحريم لهذه، معنى هذا بأنه لو كان يريد أن يعمل تحريماً لَعمِله هو؛ لأنه هو الذي صنفها - إذا عندكم تصنيفات - هو الذي صنفها، فلا يحتاج إلى أن يعمل المصنفون "تشطيبات" بعده، يقولون: (هذه حلال، وهذه حرام، وهذه كذا، وهذه كذا).

هذه هي حالة كانت قائمة عند الجاهليين، وعند غيرهم من بعد "يُشطّبون" بعد الباري، وتكميلات، أليس هنا يُقدِّم الصورة أنه هكذا: هو الذي صنف الأشياء؟ هو الذي جعلها متعددة الأغراض، هو الذي كذا، هو الذي... إلخ. فكان بإمكانه وهو الذي له الحق أن يشرِّع دون أن تأتوا أنتم لتشرِّعوا.

(١) بُويَة: طِلَاء.

(٢) التشطيب: من العامية في لغة أهل العمارة والبناء، وتشطيب الدار يعني: استكمال العمل في الدار من بعد البناء.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ عندما تقولون: إن الله هو الذي حرَّم هذا، هل الله وصاكم وكنتم شهداء على ما وصاكم به؟! هذا معناه ماذا؟ أنتم فقط تفترون على الله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيرِ عِلْمٍ﴾ لاحِظ هذه العبارة، أليست عبارة خطيرة؟ وما هو الموضوع هنا؟ أليس موضوع مأكولات؟ كيف سيكون ظلم الإنسان الذي يُضِل الناس بغير علم في القضايا الكبيرة، في قضايا حياة الأمة، حركة الأمة بكلها؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَومَ الظَّالِمِينَ﴾(الأنعام:١٤٤).

﴿قُل لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾(الأنعام:١٤٥) لاحِظ هذه العبارة كيف هي فيها نوع من السخرية، وهم يشرعون مِن عندهم، ويقولون: إنها من عند الله، ثم يقول في العبارة الأولى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾(الأنعام:١٤٤) أمَّا أنا فالذي عندي لا يوجد إلاّ هذه المحرمات، من داخل هذه المأكولات المعهودة، في الحيوانات التي هي معهودة أن تؤكل عند الناس، كأنه يقول: أمَّا الذي عندي فما وجدت فيه إلاّ هذا، أليس معناه كأنه سخرية منهم، وكأنهم يدعون أن عندهم تشريعات أخرى؟

﴿قُل لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وهذه هي الطريقة الصحيحة، ليس عندي تصنيفات من جهة نفسي مثلكم، أنا معتمد على ما يوحى إليّ من جهة الله، فأنا لا أجد فيما أوحي إلي من جهة الله سبحانه وتعالى الذي له الحق أن يشرِّع ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيتَةً أَو دَمًا مَسْفُوحًا أَو لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾(الأنعام:١٤٥) ما معنى هذا؟ ﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ المطعومات المعروفة في المجتمع بمشركيه، ويهوده، ونصاراه، وسيأتي فيما يتعلق باليهود أيضاً، كان الخنزير من الحيوانات التي يأكلونها، وربما كان النصارى يحاولون أن يعمموه، إذا أمكن أن يعمموا أكل الخنزير بالنسبة للآخرين، مثلما يعملون اليوم يحاولون هذا.

بمعنى أن الآية ليست في مقام تقول: بأن معناها: ما سوى هذا فهو حلال، أيَّ حيوان آخر، لِحظ الموضوع الذي الكلام حوله، الكلام حول ماذا هنا؟ حول المأكولات، وحول الأنعام، المأكولات المعروفة، وحول ميتة من الأنعام المعروفة، أو غير ميتة تذكى، يذكر عليها اسم الله، أو لا يذكر اسم الله عليها، موضوع الكلام وسياقه كله حول ماذا؟ حول المأكولات، أو الحيوانات المعروفة التي تؤكل في الحياة اليومية عند الناس.

وهنا يقابله ما عندهم هناك من رؤى أخرى، شيء يحرمونه، ويحللونه، وفي موضوع الأنعام ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾(الأنعام:١٣٨) وأشياء أليست كلها حول موضوع الأنعام؟ ﴿لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ في هذا الموضوع ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ معناه هكذا، ﴿إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيتَةً﴾ من هذه الأنعام ﴿أَو دَمًا مَسْفُوحًا أَو لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَو فِسْقًا﴾ أو ما كان على سبيل الفسق ﴿أُهِلَّ لِغَيرِ اللَّهِ بِهِ﴾(الأنعام:١٤٥) أي: ما ذُبح وذكِر اسم غير الله عليه ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(الأنعام:١٤٥) إلاّ أن يأكل ما يسد رمقه في حالة لا يجد إلاّ هذا، في حالة هو مشرف فيها على الهلاك، في حالة الاضطرار ﴿غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَو مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَينَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾(الأنعام:١٤٦) لاحِظ من العجيب كيف في هذا النص نفسه، في النص التحريمي، هناك مع اليهود، كيف فيه نوع من رؤيتهم التي كانت قد صارت رؤية لديهم مليئة فنقلة فقهية، وأشياء من هذه؛ لأن بعض الأشياء تكون تحريماً لطيبات، والتحريم نفسه يكون على سبيل العقوبة، فيأتي النص التحريم بالشكل الذي ماذا؟ يتعب هو وهو يبحث عن الشيء الذي هو محرم عليه، يكون فيه تعب أيضاً! هناك: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَو مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ قد يكون في الأخير شيء مُعيَّن يطلع، لكن كل يهودي سيحتاج إلى أن يقلِّب، ينظر، يتعرف على هذه؛ لأنهم لا يقبلون آيات واضحات، وبينات واضحات، لا يقبلون؛ فيحرِّم طيبات أحلت لهم سابقاً بسبب تعدِّيهم، وعصيانهم، وتمردهم على الله. لاحِظ هذا النص أليس نصاً يختلف عن النصوص الأخرى، التي هي تقديم بينات، بينات، يُقدِّم بينات واضحة...إلخ؟ والنوعية التي لا تقبل هذه البينات ومليئة بـ(الفنقلة) يعطيهم بنفس الأسلوب.

لاحِظ في موضوع عندما قال الله في القرآن: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾(البقرة:٢٦) بعضهم عندما يرجع إلى القرآن الكريم وفق هذه النظرة أوجه: يحتمل كذا، ويحتمل، ويحتمل... وفي الأخير خرج عَطَل[1] أي: عندما تفهم بأن سُنة الله هكذا بالنسبة لبيناته وهو يقدِّمها فإنه يقدِّمها واضحة، يقول: صراط

(١) عَطَل: بدون شيء.

مستقيم، صراط مستقيم...إلخ، فعندما تأتي أنت تنظر بطريقة أخرى، بطريقة (الفنقلة) وهذه التصنيفات، يُقدِّم لك المسألة لا تحتاج إلى فنقلة، وتفصيلات، وتصنيفات، واحتمالات، ووجوه، وأشياء من هذه، لا تحتاج إلى هذه، متى ما دخلتَ القرآن بهذه الرؤية فستخرج منه عَطَل، قد تحصل على ضلال، لن تستفيد من القرآن، فما بقي معك إلاّ ماذا؟ تقع في ضلال.

هنا اتركْه يذبح الجَلَبَة، ويظل يبحث أين هي؟ لأن الشحم ليس محرماً كله ﴿إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَو مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ يقلب، ويصْلِب، ويصنف ويبحث، أليست هكذا؟ من لا يقبل هدى الله الواضح لا يكون معه في المقابل إلاّ من هذه الأشياء، وتصبح عنده حالة طبيعية، وتصبح لا شيء بالنسبة له، مثلما قال هناك: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾(الأنعام:١٢٩) لم يعجبه أولياء مهتدون، حريصون عليه، رحيمون به، يهمهم أمره، تهمهم مصلحته، تهمهم سعادته، فسيأتي له أولياء ظلمة على طبيعته.

﴿ذَلِكَ جَزَينَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ لأنه حصل منهم بغي حتى فيما يتعلق بالتعامل مع آيات الله، وهذه الظاهرة – للأسف – موجودة، حيث حصلت فيما بعد من خلال رؤية (أصول الفقه) الرؤية التصنيفية، البحث (الدُّوَّار) الأوجه المتعددة، الاحتمالات، وأشياء من هذه. بعض الطوائف يكون عنده رؤية في القضية الواحدة: (أنه يحتمل كذا وهذا هو الأوجَه، أو كذا وهذا وجيه، أو كذا وهذا هو الأشبه، أو كذا وهذا هو كذا) أربعة، خمسة، حالة تَطلّبات، أي: قد أصبحت حالة من التطلّب، وكأن الله غير قادر على أن يُبيِّن طريقته لعباده!

﴿ذَلِكَ جَزَينَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ أن يحرم عليهم طيبات، وأن يكون النص التحريمي بالشكل الذي يحتاج إلى أن يبحث داخل الذبيحة على الطبيعة التي لديهم؛ لأنهم (ملان) أوجُه وتصنيفات: (يُحتمَل هذا، ويُحتمَل هذا).

لاحِظ العبارة الأولى، أليست واضحة؟ ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيتَةً أَو دَمًا مَسْفُوحًا أَو لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ ليس فيه من النص الثاني، البيان الطبيعي.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَومِ الْمُجْرِمِينَ﴾(الأنعام:١٤٧) قد ذكر كثيراً فيما يتعلق بتكذيبهم وجزاء تكذيبهم، هو رحيم إن أراد أن يرحمكم، أو أراد أن يعذبكم فهو سبحانه ذو رحمة واسعة، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَو شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾(الأنعام:١٤٨) لاحِظ كم تُقدَّم في السورة من عبارات ﴿لَو شَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿وَلَو شَاءَ رَبُّكَ﴾(الأنعام:١١٢) ألم تتكرر؟ لتمهد لرؤية في هذا الموضوع نفسه ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَو شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أن الله شاء هذا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِن أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾(الأنعام:١٤٨) فيما تقولونه: إن الله قد شاء هذا ثم يسيرون عليه.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾(الأنعام:١٤٩) أي: الله سبحانه وتعالى لم يشأ هذا؛ ولهذا أرسل رسلاً يبيِّنون لكم بأن هذا باطل، هو لا يشاؤه، ولا يرضاه. إذاً فبهذه الطريقة يأتي ماذا؟ بيان أن هذا باطل، وأن هذا لا يشاؤه الله، بهذه الطريقة، عن طريق البينات، عن طريق حجة بالغة تتمثل في كتبه ورسله، ليست القضية مبنية على أنه إذا لم يمنعنا قسراً فقد شاءه، عندما يأتي بهذه العبارة: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ربما أنه سيأتي من خلال تلقين مِن عند أهل الكتاب، أو مِن عند أيِّ طرف آخر، وإلاّ قد يكون بالنسبة للمشركين بطبيعتهم البدائية البسيطة لا يلحظون هذه؛ لأن القضية ليست ملحوظة، إذا جاءت من عند أناس تكون قد أصبحت لديهم شبيهة بأطروحات فلسفية، أو تمحلات، وتقولات عندما قال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هنا قد سبق بالمسألة من البداية، عندما يقول: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يبدو أنهم لم يكونوا قد قالوا فعلاً، لم يكونوا قد قالوا إلى نفس وقت نزول الآية.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَو شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ أي: (نحن مشركون ولم يمنعنا بأن يميتنا مثلاً، أو يكف أيدينا بطريقة قسرية هكذا) بلى قد منع عن طريق الحجة البالغة، يرسل رسلاً، وينزل كتباً، ويبيِّن لكم بأن هذا لا يشاؤه، وأن هذا لا يرضاه، وأنه باطل. ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَو شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(الأنعام:١٤٩) فهو سبحانه على كل شيء قدير، أنتم لا تعجزونه، فهو لو شاء لهداكم أجمعين، ولو شاء لمنعكم بالطريقة القسرية الأخرى.

إذاً فمعنى هذا بأن الشيء الذي قد بيَّن الله للناس بأنه باطل فهو لا يشاؤه، لا تتعلق المسألة على أنه ما دام لم يمنع وهو قادر على أن يمنع بالطريقة الأخرى (القسرية) إذاً فقد شاءه، هذه شُبَه قامت واستمرت من بعد، يقولون: (هو قادر على أن يجعل الكافرين مؤمنين، ولكن لم يجعلهم مؤمنين؛ إذاً فقد شاء أن يبقوا على

هذا) هذه عقيدة جاءت عند البعض بأن الكافرين هكذا: الله قد شاء منهم أن يكونوا كافرين، وشاء أن يكون المنافقون منافقين...إلخ.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾(الأنعام:١٥٠) فيما يتعلق بالشرك هناك، وفي قولهم: ﴿وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيءٍ﴾(الأنعام:١٤٨) أي: حرَّمنا شيئاً وكان باستطاعته أن يمنعنا ألاّ نحرِّمه، إذاً نقول أيضاً: بأن القضية فيما يتعلق بالتحريم هي إليه، فكان يجب أولاً: أن يكون شيئاً من عنده حتى يصح أن تقولوا إنه قد شاء، هنا قال: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ إذا كان هو الذي حرَّمه إذاً يصح أن تقولوا: شاءه. ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أليس هنا تدارك للمسألة أنك لا تربط قضيتك بالآخرين في مصداقية ما تُقدِّمه؟ ولو شهدوا فلا تشهد معهم ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾(الأنعام:١٥٠).

﴿قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا﴾(الأنعام:١٥١) وهناك يذكر في الخطاب فيما ذكرناه سابقاً، فيما يتعلق بأهل الكتاب، وفيما يتعلق بالمشركين، وسيأتي سرد يشمل الكل. ﴿قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ﴾ إذا أنتم تريدون بدون أخذ ورد حول: الله حرَّم هذا، أو لم يحرِّم هذا، القضية إذاً أننا متفقون على أن الله لا بُد أن يكون هو الذي يحرم، إذاً فتعالوا أتل عليكم ما حرم ربكم. ﴿قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ﴾ هذه طريقة هامة، من ناحية ماذا؟ فيما يتعلق بتعزيز ثقة الإنسان بالطريقة التي هو عليها، أنه ليس هو الذي يسير وراء الآخرين، بل هو الذي يقول للآخرين: ﴿تَعَالَوا﴾ هذه هي الطريقة التي ماذا؟ رسمها الله لعباده جميعاً.

﴿قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا وَبِالْوَالِدَينِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَولاَدَكُم مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الأنعام:١٥١) أي: إذا كنتم ستقولون: إن الله حرَّم هذا أو لو شاء الله ما حرَّمنا هذا، فقد بيَّن لكم الآن قائمة تحريمات، إذا كنتم تريدون أن تلتزموا فالتزموا.

﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوفُوا الْكَيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(الأنعام:١٥٢، ١٥٣) نأخذ من هذه شيئاً يُعتبَر سُنة من سنن الله، وهي قضية واضحة في القرآن فعلاً: أن المسالة هناك لا تحتاج إلى أخذ ورد، ولا يوجد أشياء غامضة، لا نحتاج إلى أن نتجادل في ما هو الذي من عند الله؟ وما هو الذي كلفنا الله به؟ وما هو الحكم الشرعي في كذا، أو كذا؟ أن طريقة الله هي أن يُبيِّن، ألم يُبيِّن هنا؟ ﴿قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ﴾ لا نترك القضية لكم أنتم تأخذون وتردون حولها، وتتجادلون حولها: أن الله حرَّم، أو شاء أن يحرِّم، أو لم يشأ، أو اقتضى، أو أن هذا الحكم هو مفهوم الآية الفلانية، أو الحديث الفلاني، وأخذ ورد في الموضوع.

إن سُنة الله: أنه هو الذي يبيِّن هو، أليس هنا جاء بعد هذه الآية السابقة في دعاواهم أن الله حرَّم، أو لو شاء الله لم يحرِّم؟ ﴿قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ﴾ هنا قدَّم قائمة محرمات، أي: أن هذه هي سُنة إلهية، ليس الناس بحاجة إلى أن يختلفوا، ما الذي حرمه؟ ما الذي شرعه؟ ما الذي وجَّه إليه؟ وأشياء من هذه. هو يُبيِّن، لا يحتاج إلى استنباطات من عند الناس، ولا إلى تشريعات يستنبطونها هم ويحسبونها على الله، هو يُبيِّن طريقته هو، يُبيِّن صراطه هو، يُبيِّن سبيله هو، يُبيِّن شريعته هو، لا يُوكِل المسألة إلى الآخرين؛ لأنه سيأتي من جهة الناس من يحسبون أشياء على الله هي افتراء عليه.

فيما بعد قالوا في داخل المسلمين: بأننا قد عَلِمنا بأن الله كلّفنا، إذاً لاحِظ لا توجد هذه الرؤية: فنقول: إذاً ما دام أنه كلّفنا فبالتأكيد هو سيبيِّن ما كلّفنا به، لم يقولوا هذه، بل قالوا: (الله كلفنا بالتأكيد، ولم يُقِم على ما كلّفنا به أدلة تفيد العلم، فلم يبقَ إلاّ ظن واعتماد أمارات وظن، إذاً فوجب أن يقبل هذه منا، ووجب علينا أن ينطلق كل إنسان على ما أدى إليه ظنه ممن يتعلم، والآخر يقلد مَن ترجَّح له تقليده من هؤلاء)! أليست هذه الطريقة خطأ؟ يبنون المسألة على أن الله لم يُبيِّن، وهنا يقول للمشركين أنفسهم، أليس الموضوع هذا أمام مشركين، وأمام أهل الكتاب؟ أو دعاواهم في موضوع تشريعات، وتحريمات، وأشياء من هذه ﴿قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ﴾ أنه سبحانه وتعالى هو الذي يُبيِّن لعباده ما شرَّعه لهم، وما يريد منهم أن يسيروا عليه من هداه وتوجيهاته ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الأنعام:١٥١).

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾(الأنعام:١٥٣) لاحِظوا هنا، أليس

يُبيِّن: أن هذا صراطي مستقيماً، وأنا الذي سأتولى تبيينه ورسْمَه؟ أليس معناه هكذا؟ بعدما يقول: ﴿تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ هذا صراطه، وهذه هي سُنته في تبيين صراطه، هذا سبيله الذي رسمه لعباده؛ ليسيروا عليه، ولا يتبعوا السبل الأخرى فتفرق بهم عن سبيله.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ مستقيماً، لا يحتاج إليكم، إلى استنباطات، ووجوه، وتشريعات، وآراء، وأشياء من هذه. ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ لاحِظ كيف هذه الكلمة متكررة في القرآن بشكل كبير، ولذلك نقول: إن ثقافة القرآن بالنسبة لنا هي اتّباع؛ لأن الله رحيم، هو يرسم الطريق الواضح، لا يحتاج من جانب الناس إلى أيِّ تصنيفات، ولا فنقلات، ولا تشريعات، ولا شيء، القضية جاهزة، صراط واضح يسيرون عليه، يتبعونه، أليس الاتباع معناه: أن هناك شيئاً جاهزاً؟ أليس الصراط معناه: أن هناك طريقاً؟ عندما يقول لك بهذه العبارة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ أليس المعنى لتسيروا عليه وتتبعوا ما رُسِم في هذه الطريق؟ ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.

كلمة ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ في حد ذاتها تعني: أن الطريق واضح، لا يحتاج إلى من يأتي ليعمل بـ"فِرْسَته"[1] ويمهد، وأشياء من هذه، والتشريعات هو مِن عنده يُبيِّنها، وهو مِن عنده يُبيِّن الهدى، القضية جاهزة، يتبعون فقط، ليس فيها: فابحثوا، أو فيها صنفوا، أو فَنْقِلوا، أو استنبطوا، أو أشياء من هذه.

ضاعت قضية تثقيف الناس لأنفسهم وللأمة بأن المسألة هي ماذا؟ مسألة (اتّباع) قدَّموا القضية قضية ماذا؟ (اجتهاد، أو تقليد) كما يسمونها، والمسألة ليست اجتهادات، ولا تقليداً، المسألة مسألة اتباع، فهو الذي يرسم الطريق، وطريق بيِّن، فلْيتبع الناس كلهم، ليس هناك حاجة لأحد أن يستنبط ويستخرج أشياء من عنده أبداً. ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ هناك سُبُل أخرى تُقدَّم من الآخرين، أيُّ سبيل تسيرون عليها ستبعدكم عن سبيله، هي طريق تذهب بك بعيداً، كلما مشيتَ عليها ابتعدت عن الطريق الذي رَسمه الله: الصراط المستقيم.

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إذا كنا نريد أن نتقيه فالقضية جاهزة، بمعنى: أن من يعدلون عنها، وهذا هو المنطق الذي اعتمدوا عليه في تبرير الاجتهادات، والترجيحات: (أننا قد علمنا أننا كلفنا ولم تأتِ أدلة تفيد العلم على كل قضية، فما بقي إلاّ ماذا؟ أن كل من تعلَّم يحاول أن يستنبط، ويحاول أن يرجِّح، ويحاول أن يدوِّر هو، يبحث ويدوِّر داخل القرآن، وداخل ما روي من أحاديث).

تلك الطريقة لا تؤدي إلى تقوى، لاحِظ عندما تأتي عبارة عندما يقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تقوى لله سبحانه وتعالى، وتقون أنفسكم من الشر الذي تَسلَمونه، لا يحصل عليكم إذا سرتم على صراطه.

ولاحِظ الآن، هل هذه الطريقة شكلت وقاية بالنسبة للناس؟ الطريقة التي رُسِمت، طريقة كل واحد مِن عنده، يقوم يبحث ويدوِّر، ويرجِّح، ويستنبط، ويستخرج قولاً، والثاني استخرج قولاً، وهذا اتبع هذا، وهذا اتبع هذا، هل شكّلت وقاية في الأخير للأمة؟ لم تشكّل وقاية! إن الله جعل دينه بالشكل الذي يشكّل وقاية لمن يسيرون عليه هنا في الحياة قبل الحياة الآخرة، ألم يقل هناك في آية أخرى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:١٠٨)؟ أي: هذا الدِّين يُشكّل وقاية هنا من الشرور؛ ولهذا يقول في كثير من الآيات بالنسبة للأعداء الذين دائماً الناس يعرفون أن العدو إنما يفكر في أن يضرك، وأنت تفكر فيما يقيك شره، عندما يقول بعد: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيدُهُمْ شَيئًا﴾ (آل عمران:١٢٠) ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذىً وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾ (آل عمران:١١١) أي: الطريقة الأخرى، السُبل الأخرى لن تشكّل لكم وقاية، لا في هذه الدنيا، ولا في الآخرة، من كل ما أنتم تحبون أن تقوا أنفسكم منه، وهذا واضح، فهذه الآية نفسها تقيِّم لنا الحالة التي نحن عليها، والثقافة التي بين أيدينا، هل هي ثقافة في الأخير تجعل الأمة في وضعية تشكّل وقاية لها من شرور أعدائها، أو أنها أخضعت الأمة، وجعلتها في حالة تُعتبَر لقمة سائغة لأعدائها؟ وهذا هو الواضح.

هل كان الناس الذين كانوا في عصر رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عندهم رؤى، ومقترحات، وتشريعات، وأشياء من هذه؟ لأنه هو الذي يشرِّع للأولين والآخرين، هذه قد تكون من الأشياء المهمة بالنسبة للناس المسلمين أن يؤمنوا بكتب الله كلها، ورسله، يتقرر في نفوسهم أنه هو الذي يهدي مَن قبلهم: الأمم الماضية، هو الذي أنزل إليها كتباً، وبعث إليها رسلاً، وهو المتكفل بهداية البشر مِن قبل أن تُخلَق أنت، فتاتي على أساس أنك تستنبط وتُقدِّم هدايات للناس وتشريعات ﴿ثُمَّ آتَينَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام:١٥٤) مِن قبل أن تُخلَق أنت.

---

(١) الفِرْسَة: مِن آلات العمل في الزراعة.

كما ظهر عند بني إسرائيل من أشياء، تحريمات، وتحليلات، هي مخالفة لِمَا نزله على موسى ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ﴾ بمعنى أنكم وقعتم في قضية لم تكونوا بحاجة إليها، ولم يكن هناك في شرعه تقصير، هو فَصَّل كل شيء، أيام موسى بالنسبة لهم، لكن لم ينفع، كانوا يتركون الكتب جانباً وتُقدَّم طريقة أخرى، ومنهجية أخرى، تجعل الناس هم الذين يتحركون، فيقدِّمون تصنيفات أخرى، وتحليلاً، وتحريماً، وتشريعات أخرى.

بالنسبة لهذه الأمة، بالنسبة لنا، كيف نرى أنفسنا أننا بحاجة إلى أن نقوم نشرِّع نحن، وعلى طول تاريخ المجتهدين يتحركون على أساس (أصول الفقه) والله يقول لنا من قبل أن يبعث محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من قبل، موسى، وإبراهيم، وكل الأنبياء، من نزّل عليهم كتباً، نزّل عليهم كتباً تفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة، شاملة لموضوع التشريعات وموضوع الهداية بكلها.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأنعام:١٥٥) هذه الآية بالنسبة لنا، بالنسبة للمسلمين يقول: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، ﴿وَاتَّقُوا﴾ قد تشمل عبارة واتقوا: اتقوا أن تسلكوا الطريقة الأخرى، طريقة ما حصل عند بني إسرائيل عندما أصبحوا هم يشرِّعون مِن عند أنفسهم، ويقدِّمون توجيهات أخرى مخالفة لهدي الله مِن عند أنفسهم مع أنه نزّل عليهم كتاباً تفصيلاً لكل شيء! ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لم نسلك هذه الطريقة فرأينا أنفسنا ماذا؟ كيف واقع الأمة الآن؟ واقع أمة مرحومة أو واقع مغضوب عليها؟ قد يكون مغضوب عليها فعلاً، فهناك في البداية: ﴿لَعَلَكُمْ تَتَقُون﴾(الأنعام:١٥٣) وهنا أيضاً يقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأنعام:١٥٥).

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾(الأنعام:١٥٥) أيضاً فيه بركة، استنباطاتكم ليس فيها بركة، وفعلاً هذا الذي حصل، ما حصل عند بني إسرائيل من استنباطات وأشياء من هذه لم يكن فيها بركة، كان فيها ضلال وأدت إلى ضلال، أمَّا القرآن فهو ﴿مُبَارَكٌ﴾ ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ التوجيه للكل، التوجيه لكل الناس، لبني إسرائيل، وللعرب جميعاً، وأن تكون الطريقة في التعامل معه طريقة اتباع، أليست هذه عبارة واضحة كلمة: اتبعوه؟ هل أحد يمكن أن يقول لك: اتبع إلاّ وقد قدَّم لك القضية جاهزة؟

عندما يأتي يقول لك: (صحيح ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ لكن ما فصَّل كذا، ولا تناول كذا، ولا قال كذا، ولا، ولا...) أنت لم تتبعه هنا؛ لأنه يقول لك: له طريقة، وله ورثة وهم يعرفون كيف يتعاملون معه، وبيَّن لك هو في داخله بقوله: ﴿ثُمَّ أَورَثْنَا الْكِتَابَ﴾(فاطر:٣٢) وبيَّن لك هو بأسلوبه وهو يتنزل على محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قل كذا، بيِّن كذا، أليس هذا توجيهاً إلى شخص واحد؟ لا أتصور بأنني متبع للقرآن إذا لم أكن مؤمناً بهذه الطريقة، سيبدو القرآن أمامي ناقصاً: (لم يبيِّن كذا، ذكر الصلوات ولم يعدِّدها، ذكر كذا ولم يبينه، ذكر كذا وما بينه وهو يقول: ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ﴾(الأنعام:١٥٤)) إذاً له طريقة، ليس معنى ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ﴾ لكل مَن فتحه سيرى تفصيلات كل شيء.

أنت عندما تكون على هذا النحو فأنت جاهل لقاعدة هامة القرآن يبتني عليها بكله، وأنه كتاب لبناء أمة، ليس كتاباً فردياً، كل واحد يريد أن يتناول منه الذي يريد ويذهب (مع السلامة) هو كتاب قائم على أساس بناء أمة، تصور أنت كيف بناء الأمة، كيف يمكن بناء قبيلة واحدة؟ هل يمكن أن تتصورها بدون أن يكون هناك قيادة لها، دون أن يكون هناك مرجعية لها؟! هو مبني على هذه، سيقولون: (القرآن لا بأس، لكن وجدنا أنه ليس فيه كذا، ولا قال كذا، ولا فصَّل كذا) هو يقول: ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ﴾(الأنعام:١٥٤) في آيات أخرى يقول: ﴿وَكُلَّ شَيءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾(الإسراء:١٢) لكن يأتي كل واحد يريد هو أن يعرف كل التفصيلات، أليس هذا جهلاً بالقرآن نفسه؟ عندما يقول: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ أن تعرف كيف اتباعه، كيف أسس اتباعه، وسترى كل شيء واضحاً، وترى صراطاً مستقيماً.

إذا لم يكن هناك رؤية على هذه فستراه ناقصاً، وترى حتى الذي يقول: (مازال الرسول مبيناً) وعاد إلى الرسول ورأى أشياء ليست كاملة، رأى أشياء تحتاج إلى ترجيحات، ورأى أشياء تحتاج إلى استنباطات، وتفريعات، واجتهادات، وأشياء من هذه، وحينها ضاعت الأمة بكلها. أليس هو في الوقت الذي يقول: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ يقول: اتبعوا محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(النساء:٥٩)؟ أليس يقول هكذا؟ أليس موضوع أن يكون القرآن تفصيلاً لكل شيء بالنسبة لهم مرتبطاً بمحمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ إذاً مات رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قالوا: مات فلم يبقَ شيء إلاّ أن كل واحد يبحث هو؛ ورأى القرآن ليس فيه تفصيل لكل شيء (إذاً نحتاج إلى كذا، ونحتاج) وبحثوا، وأخذ ورد إلى أن ضاع.

إذاً هل يمكن أن نجهل بأن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه: ﴿ثُمَّ أَورَثْنَا الْكِتَابَ﴾(فاطر:٣٢) أنه يعلم أن

أنبياءه سيموتون، وقال هو: إن الرسل سيموتون، ويموت الناس جميعاً، أنه هو يُورِث؛ لأنه كتاب - كما قلنا بالأمس مع البعض - كتاب لله الحي القيوم، ليس كتاباً مثل الكتب الأخرى التي نقرؤها، ونقول: (قال رحمه الله تعالى) تحدثنا مع البعض حول هذا.

هذا كتاب الله، والله هو حي قيوم، فالقرآن نفسه في مسيرة القرآن هو ليس بمعزل عن قيومية الله على خلقه، على طول تاريخ هذه الأمة، إذاً قاموا يتحركون، لكن هل شكلوا وقاية أو رحمة؟ أبداً، الأمة الآن وضعيتها سيئة؛ لهذا لاحِظ أنه يأتي توجيهات، ويأتي بعدها في: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾(الأنعام:١٥٩) متى لم يحصل اتباع، وبرؤية حقيقية وصحيحة بهذا المعنى، معنى الاتباع، وهي قضايا بسيطة (أسس الاتباع نفسها) أن تفهم أنه قرآن يحتاج الناس إلى وارث عِلم له، متى ما توفر القرآن مع وارث له يمكن أن يمشي كل شيء ويحصل ﴿تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ﴾ ويتناول كل شيء.

إذاً أليس القرآن من عند الله؟ أليس الله هو الذي يخلق؟ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾(القصص:٦٨) هل أنه قد توقف مصنعه، لم يعد هناك مصنع إنما فقط ذلك الزمن وانتهى؟ هو يخلق رسلاً، وبعد الرسل يخلق ورثة للرسل، وورثة لكتبه.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾(الأنعام:١٥٥، ١٥٦) حتى لا تقولوا كلاماً كهذا، هذا كتاب قد نزل إليكم ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ بني إسرائيل نزل عليهم التوراة، نزل عليهم الإنجيل، نزل عليهم كتب أخرى. ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾(الأنعام:١٥٦) عن دراستهم لكتبهم لغافلين ﴿أَو تَقُولُوا لَو أَنَّا أُنزِلَ عَلَينَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ﴾(الأنعام:١٥٧) إذاً فانطلقوا، فلم يبقَ لكم عذر أن تقولوا: ﴿لَو أَنَّا أُنزِلَ عَلَينَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ كذب بآيات الله وصدف عنها: انصرف وصرَف عنها، ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾(الأنعام:١٥٧) والشيء المخيف في هذا أن عبارات العذاب تأتي مطلقة في كثير من الآيات، بالشكل الذي يحتمل أنه هنا عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة، فهي آيات واضحة، وكتب واضحة، وبينات واضحة، فما الذي بقي؟ عندما يأتي بقوله تعالى بعد: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَو يَأْتِيَ رَبُّكَ أَو يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾(الأنعام:١٥٨) ماذا ينتظرون بعد هذا البيان الكامل؟ الشيء الذي هو إلى درجة أن يقول: فاتبعوه ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾(الأنعام:١٥٣) ماذا ينتظرون بعد؟ ينتظرون أن تأتيهم ملائكة، أو يأتي الله، أو يرون الله كما قال بنو إسرائيل من قبل، أو يأتي بعض آيات ربك، الآيات التي تُعتبَر قاضية.

﴿يَومَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَو كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيرًا﴾(الأنعام:١٥٨) بمعنى أن هذا هدى متكامل، وبينات واضحة كاملة، وبلاغ مبين، لم تعد بحاجة إلى شيء آخر بعده، ماذا تنتظرون بعده؟ تنتظرون ملائكة تأتي، أو تنتظرون الله يأتي، أو تنتظرون آيات من الكوارث التي يضرب بها الأمم؟ ﴿قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾(الأنعام:١٥٨) هذا تهديد مثل: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾(التوبة:٢٤) فانتظروا إذا لم تكفِك هذه الآيات فانتظر، لن يأتي ملائكة، ولن يأتي ربك، وقد تأتي بعض آيات ربك، مثلما قال سابقاً: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾(الأنعام:١٥٧).

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(الأنعام:١٥٩) هنا يؤكد بأنه يرسم طريقة واحدة، وطريقة واضحة، وأعلامها بينة، وبينات واضحة، وأن الناس إذا انطلقوا هم برؤية أخرى، ولم يسيروا على هذا النحو الذي وجِّهوا إليه: اتباع، وسير على هذا الصراط المستقيم الواضح، فلن يكون البديل إلاّ ماذا؟ إلاّ أن يتفرقوا، فيفرقوا الدِّين نفسه.

أن تأتي الآية بالشكل الذي تذكر ماضياً؛ لأنه بالنسبة لهذه الرسالة نفسها، رسالة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لم يكن قد ظهر شيء، لم يكن قد ظهر تفريق من جانب المسلمين لهذا الدِّين، لكن معنى عندما يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ سواءً في الماضي أو في المستقبل ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيءٍ﴾ فبالنسبة للأولين لا علاقة لك بهم نهائياً، ألم يقل هناك في آية أخرى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(الأنعام:٩٠) عندما جاء بقائمة من الأنبياء؟ هؤلاء الذين تهتدي بهداهم، الآخرون الذين فرقوا دينهم لا علاقة لك بهم، ولا بينك وبينهم شيء نهائياً.

إذاً تجد بأنهم أين موقعهم هم؛ لأنه هو (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في ضمن هذه المسيرة الطويلة: مسيرة أنبياء الله، إلى إبراهيم، إلى نوح، إلى أول نبي من أنبيائه، أليس الآخرون هم الذين هم خارجون هناك، هم؟ ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيءٍ﴾ لا علاقة لك بهم، كما لو قال: أنت بريئ منهم، أو هم بُراء منك.

كذلك مَن فرقوا هذا الدِّين من بعده، أو يمكن أن نقول: أمَّا بني إسرائيل إذا فرقوا دينهم فالقضية هي على هذا النحو: تهديد عظيم إلى درجة أن يقول: هؤلاء ما بينك وبينهم، وبالتأكيد عندما يقول: ما بينك وبينهم ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيءٍ﴾ أنهم في اتجاه مغاير، غايتهم غير غايتك، أليست هكذا؟ أين سيكون رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ أليس سيكون مع إبراهيم، ومع نوح، مع الأنبياء في رضوان الله وجنته؟ والآخرون الذين ليسوا منه وليس منهم بالتأكيد لن يكون موقعهم معه، هم في مكان آخر. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيءٍ﴾ حتى لو قالوا:

وكلهم مِن رسول الله مُلْتَمِسٌ غَرْفاً من البحر أو رَشفاً من الدِّيَمِ

ويعني: إمَّا شرب شروب، أو رشفاً من الدِّيَم: من الأمطار. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ هذا للأسف حصل في هذه الأمة، ألم يحصل تفريق للدِّين حتى أصبحوا طوائف متعددة؟ هذا التفريق للدِّين، لا نتصور أن هناك طريقة أخرى يقال لها: تفريق للدِّين غير هذه، بنو إسرائيل لم يعملوا إلاّ هكذا، كيف عملوا حتى فرقوا دينهم؟ كيف عملوا؟ طوائف، وأقوال متعددة، وتوجهات متعددة، أليس هذا هو تفريق الدِّين؟

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(الأنعام:١٥٩) يفعلونه هم، ومن جهتهم هم، لم يأتِ نتيجة لتقصير من جهة الله سبحانه وتعالى؛ لأنه سمَّى التفريق فعلهم هم، ومنشؤه مِن عندهم هم وليس مِن عنده.

إذاً فهذا يُبيِّن لنا سوء الاختلاف والتفرق، لسنا بحاجة إلى أن نبحث كيف نجعله مشروعاً، ونجعله سائغاً ومقبولاً، وهذه الآية خطيرة جداً بالنسبة للمسلمين، وقد اتضح أنهم فرقوا دينهم فعلاً، عندما تأتي الآية بهذا الشكل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ طوائف، فِرَقاً ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيءٍ﴾ لأن طريقته أخرى، طريقته: طريقة تبني أمة واحدة، وطريقته أنه قدَّم منهجاً واضحاً، لا يحتاج إلى أن يأتي الناس بشيء من جهة أنفسهم، إنما يتبعونه، ويسيرون عليه، فهو جاهز إذا ساروا واتبعوه لا يتفرقون، لكن ينطلقون هم وكأنهم مكملون، كما قال الإمام علي (عليه السلام): (أم كانوا شركاء لله في ملكه فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى) أو بعبارة تشبه هذه في نهج البلاغة جاء بها استنكاراً على من يأتون بأقوال متعددة في الفتوى.(١)

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ * قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(الأنعام:١٦٠،١٦١) فمن يدَّعون أنهم مني وإليَّ، أو مغترفون مني، أو راشفون مني، فليعلموا بأن الله هو الذي يهدي، وليست اجتهادات حتى من عندي أنا ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الصراط نفسه الذي دعاكم إلى أن تتبعوه، وتسيروا عليه.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام:١٦١) جواب للكل، للمختلفين من قبله، والمختلفين من بعده، ومثل الذي قال هناك: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(الأنعام:١٥٩) هم من جهة أنفسهم يقدِّمون أشياء تؤدي إلى تفرقهم، واختلافهم، أمَّا هو فطريقته ليست على هذا النحو. إن طريقته من عند الله سبحانه وتعالى، وليست من عند نفسه هو، بل من عند الله ﴿إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيم لا يحتاج إلى من يأتي "يرفِّد له، ويدخل طوب داخله، أو حجار، ويبعد حجراً، ويدخل حجراً أخرى" هو مستقيم.

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الأنعام:١٦١، ١٦٢) إذاً هنا إعلان تسليم؛ لأن القضية عادة تنتهي إلى التسليم لله، إذا كان هناك تسليم لله من جهة الناس فإنهم يكونون قابلين للاتباع، ولا يحصل اختلاف، ولا تفرُّق، إذا لم يحصل تسليم يكون كل واحد يُقدِّم نفسه، يريد أن يكون نصف إله أو ربع إله يشرِّع مِن عنده.

هذا أساس القضية: التسليم لله، إذا كان الناس مسلِّمين لله فهو سبحانه وتعالى قد جاء بالهدى، وصراط مستقيم، وبينات واضحة، يتبعونه، لا يحتاجون إلى أيِّ شيء آخر يتعبون أنفسهم فيه، لا بحث، ولا استنباطات، ولا ترجيحات، ولا رؤى متعددة، ولا شيء.

---

(١) نهج البلاغة ١/٦١.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(الأنعام:١٦٢، ١٦٣) المسلمين لله.

﴿قُلْ أَغَيرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيهَا﴾(الأنعام:١٦٤) لأن من لا يقتنع بهذه المسألة فكأنه يعدل، يبحث عن أرباب آخرين، هذه القضية خطيرة، ألم يقل في بني إسرائيل: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(التوبة:٣١)؟ ﴿قُلْ أَغَيرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(الأنعام:١٦٤) هذه ما زال فيها تنبيه خطير بالنسبة للناس، في الأجيال المتأخرة، عندما تحاول أن تقول: (لا بُد أن نسير على هذه الطريقة؛ لأنه انظر الذين قبلنا كانوا، وكانوا.. ضروري أن نسير وراءهم) يقول لك: إنهم لن يحملوا أوزارك إذا أردت أن تنتبه أنت، ما تكسبه هو على نفسك أنت، هم سيكسبون أوزارهم وأوزاراً من أوزار الذين يضلونهم بغير علم، كما جاء في آية أخرى، لكن ليس معناه أن تقول: (أمَّا نحن فسنسير وإلى ذمتهم) ليست القضية بهذا الشكل (سنمشي وراءهم وإلى ذمتهم).

﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيهَا﴾ لأن هذه تضرب شيئاً من الأشياء التي عند الناس تجعل الضلال يستمر، فيقول: "نسير وراءهم، ولسنا أفضل منهم، وهم كانوا أفضل منا، وهم كانوا أعرف، وكانوا، وكانوا... فنحن من جيزاهم وإلى ذمتهم"[1] لا، أنت عندما تسير على ضلال فأنت تكسب على نفسك ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لن يأخذوا أوزارك، قد يحملون من الأوزار باعتبار أنه حصل ضلال على أيديهم، أو أضلوا عمداً.

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(الأنعام:١٦٤) معنى هذا أن الاختلاف نفسه محط تساؤل: لماذا تختلفون؟ لأنه قدَّم دينه بالشكل الذي لا يختلف الناس إذا ساروا عليه، وليسوا بحاجة إلى أن ينطلقوا هم ليعملوا تكميلات وأشياء من هذه هي بالتأكيد مما يؤدي إلى اختلاف فيما بينهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾(الأنعام:١٦٥) هو الذي استخلفكم، وهو الذي تكفَّل بأن ينزل هدى إليكم، لا يمكن أن يستخلفهم دون أن ينزل هدى ويكون في هداه الكفاية؛ لتقوموا بواجبكم، وتقوموا بدوركم في هذه الحياة ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(الأنعام:١٦٥) صدق الله العظيم.

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الموافق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

(١) نحن من جيزاهم: من اللهجة العامية، وتعني: نحن مثلهم في العمل والمصير. إلى ذمتهم: هم من يتحملون العواقب.

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ